الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص فلسفة عامة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة

موسومة بـ:

الصيرورة في الفلسفة اليونانية هرقليطس أ نموذجا

إشراف الأستاذ :

أ.بوعمود أحمد

إعداد الطالبة:

- سهام دردور

أعضاء لجنة المناقشة

أ. راتية حاج	أ .مساعد.أ	رئيسا
أ. بوعمود أحمد	أ .مساعد.أ	مشرفا ومقررا
أ. بوروينة محمد	أ .مساعد.أ	مناقشا

شكر و عرفان

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ " النمل الآية (19)

نشكر الله العلي القدير و الحمد لله الذي به تتم الصالحات و نسأله تعالى المزيد من التوفيق و النجاح

أتقدم بخالص شكري و احترامي إلى أستاذي الذي كان طول السنة بمثابة النور الوهاج الذي أضاء لي المسلك الصحيح "بوعمود أحمد" و على المجهودات التي بذلها في توجيه للقيام بهذا البحث إلى من ساهم في هذا العمل من قريب و من بعيد .

كما أشكر الأخوة عبد القادر، ياسين، و حكيم في طبع هذه المذكرة.

الإهداء

إلى من بأيدي الآلام و بعيون الأتعاب رعتني و بصبر المشتاق حمتني إلى نبع الصفاء رمز الوفاء فيض الحنان (أمي الغالية)

إلى من أفنى حياته من أجل ان يتعهد درب الحياة و يسهر على راحتي و صاحب الفضل في تعليم إلى من كان خير سند و عون لي (والدي العزيز).

إلى سندي في هذه الحياة و التي لا تكتمل سعادتي إلا بوجودهم إخوتي: نصيرة، علي، هاجر، محمد أمين.

إلى أعز الصديقات على قلبي، سعاد،نادية، نجاة، حورية، أمينة، ريمة، نهلة، مروة، خالدية، أمينة، حيزية، نخلة.سهيلة ،حنان

و إلى كل أفراد عائلة دردور و صليعة

و إلى كل من تحملهم مذكرتي و تحملهم ذاكرتي

وأخص بالذكر : أحمد

الحديث عن الفلسفة متشعب ويصعب تحديد بداياته اللامتناهية ومع ذلك تبقى الفلسفة متفردة عن بقية العلوم والتخصصات وتوصف أحيانا الفلسفة بأنها منهجا في التفكير فقد لا يختلف اثنان بأن ميلاد الفلسفة كان مع ميلاد اليونان غير أن الفلسفة اليونانية لا تعتبر الشكل الوحيد الذي عرفه الفكر الإنساني، بحيث يعد أفول الحضارات الأخرى بمثابة محطات أساسيةفي تطور هذا التفكير الفلسفي، فالفكر اليوناني كما يبدو لنا في فجر تاريخه ليس فكرا بدائيا لأن وراءه ماضيا حافلا لا نزال نجهله وهذا الماضي هو الذي ساعد على قيام الحضارة اليونانية وفلسفتها.

لذا أعتبرت الفلسفة منذ القدم سؤالا حول الوجود، أصله، ماهيته، غايته، وما زال مفهوم الوجود فكرة مركزية في الفكر الإنساني، بحيث كان هذا الوجود أول بحث استهلت به الفلسفة فجر حياتها، إذ انشغل الفلاسفة منذ البداية بالبحث عن أصل الكون وطبيعته ومما يتألف، فالوجود وماهيته من أقدم المسائل التي درسها العقل الإنساني بل هي من أعقد المشكلات الفلسفية وحتى المعرفية والسبب في ذلك هو تنوع المعاني والدلالات التي أعطيت للوجود هذا من جهة ومن جهة أخرى لأنه شيفرة غامضة بهذا يرى العديد من الفلاسفة أن سؤال الأنطولوجيا هو السؤال الأول في الفلسفة، فقبل أن يتساءل المرء عن المعرفة لابد أن يتساءل عن موجودية ما يريد أن يعرفه، ولهذا كان سؤال الوجود هو منطلق كل تساؤل وانطلاقا من هنا تعدد فهم هذا التصور حسب كل مذهب فلسفي وباختلاف رأي كل فيلسوف وباختلاف الأسس النظرية كما هو الحال عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد كانت فلسفتهم متجهة نحو تفسير الطبيعة والبحث عن المبدأ الأول للوجود وهذا ما حاول فيه الفلاسفة الأوائل من بينهم هرقليطس الذي حاول معالجة مسألة الوجود من كل جوانبها باعتبار أن الوجودية إحدى السياقات الفكرية والفلسفية التي قامت على أسس ميتافيزيقية أنطولوجية تهدف إلى فهم الوجود الإنساني بصفة خاصة والوجود المطلق بصفة عامة.

وهذا الذي جعل هرقليطس يبحث عن هذا الوجود وصفة هذا الوجود وماهيته وهذا من خلال عدة أفكار وآراء التي تعبر عن فلسفته، ومن هنا كانت الإشكالية المطروحة هي: "ما موقف هرقليطس من الأنطولوجيا خاصة أمام التصورات المادية والمثالية السائدة في عصره ؟ وعلى أي أساس كان تفسير هرقليطس لأصل الوجود على قانون التغير أو الثبات وكيف كان توظيف فكرة الصيرورة ودلالتها في فلسفة الوجود ؟

ولقد اقتضت مني طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي المتمركز على تحليل المفاهيم المفتاحيةوكرونولوجيا الفيلسوف،ونقدي من خلال نقد وتقييم فلسفة هرقليطس أما عن الأسباب والدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع منها ما هو ذاتي وهو رغبتي الملحة في التعرف على مثل هذه الموضوعات والتعرف بهذا الفيلسوف والتعريف بفلسفته، ومنها ما هو موضوعي هو أهمية الموضوع من الناحية الفلسفية باعتبار أن مفهوم الصيرورة مفهوم كلي، أما الدافع التاريخي فيبدأ فلسفيا من دراستها لهذا المفهوم باعتبار أن هذا الأخير كان من بين أهم المفاهيم التي طرحت في مشكلة الوجود لأن التمييز الفكر الوجودي يتجلى عند كل فيلسوف غير أنه عند هرقليطس له مفاهيمه الخاصة، وهذا الدافع المهم باعتباره أحد أهم الوجوديين القدماء وبالأخص مسألة الوجود في فكر هرقليطس وذلك نظرا لشساعته وغموض معانيه وللضرورة المنهجية قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول انطلاقا من بناء شبكة المفاهيم المتعلقة بالوجودوجنيالوجيا الفيلسوف بحيث يندرج تحت كل فصل ثلاثة مباحث الفصل الأول المعنون بـ: كرونولوجيا وجنيالوجيا بدء بالمبحث الأول الذي كان عبارة عن شبكة المفاهيم المفتاحية لفلسفة هرقليطس المتمثلة في: التغير، الصيرورة، الحركة، الزمان، الوجود، المكان، الديالكتيك. والمبحث الثاني : فلسفة هرقليطس والتي يندرج تحته عنوانيين المعرفة عند هرقليطس، فلسفته الطبيعة.

أما المبحث الثالث فهو عن المرجعية الفكرية والمتمثلة في أمرين هما الفكر في الحضارات الشرقية القديمة، والفلسفة اليونانية.

لنصل إلى عنوان الفصل الثاني هو أصل العالم ونشأة الكون، والذي هو بدوره يندرج تحته ثلاثة مباحثالمعنونة كما يلي : المبحث الأول عنوانه الكون كصيرورة، والمبحث الثاني عنوانه النار أصل الأشياء، والمبحث الثالث فعنوانه قانون وحدة الأضداد.

أما الفصل الثالث الموسوم بـ: الأهمية التاريخية لفلسفة هرقليطس، وينقسم هذا الأخير إلى ثلاثة مباحث: الأول مقاربة بين هرقليطس وبارمنيدس ويتضمن عنصرين : أولا الثبات أصل الوجود، والثاني التغير الهرقليطي، والمبحث الثاني : تأثير فلسفة هرقليطس على الفلسفات اللاحقة، الذي يتضمن بدوره عنصرين هما : أولا في الفلسفة اليونانية، ثانيا في الفلسفة الحديثة، والمبحث الأخير : أهم الانتقادات التي وجهت لهرقليطس.

تعد هذه الدراسة الأولى كمذكرة عن الفيلسوف هرقليطس من حيث فكرة الصيرورة حيث لم تتواجد مذكرات تناولت نفس الموضوع ما عدا بعض الكتب التي تناولت فلسفة هرقليطس.

من أهم الصعوبات التي واجهتني خلال أدائي لبحثي هي ندرة المصادر المتعلقة بهرقليطس التي لم يترك لها أثر، مما دفعني إلى استخدام الكتب الالكترونية PDF، وهذا ما جعلني اعتمدت على بعض المراجع المتمثلة في : 1 وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، براترند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، أكسل فايس، أطلس الفلسفة.

وفي الأخير ختمت بحثي بخاتمة التي كانت عبارة عن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وذلك وفقا لما توفر لدي من المادة العلمية وذلك بفضل توجيهات الأستاذ المشرف.

المبحث الأول : مدخل مفاهيمي

من المعروف أن كل فيلسوف له فلسفة خاصة به، وهذا من خلال بعض الرموز والمصطلحات التي تجعل فلسفته مميزة عن باقي الفلاسفة و ذلك ما لمسناه عند هيرقليطس، حيث كانت له بعض المصطلحات وبعض الكلمات المفتاحية التي تميز فلسفته هي التي جعلتني أستهل بحثي هذا والمتمثل في:

1- التغير : بالفرنسية CHANGEMENT بالإنجليزية CHANGE

لغة : هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى أو تحول الشيء إلى آخر، ويحدث هذا التغير في شيء واحد بذاته في جميع سمات.[1]

إصطلاحا: هو كون الشيء مجال لم يكن له قبل ذلك، فمنن التغير ما يكون في الجوهر وهو الذي يسمى بالكون المطلق، والفساد المطلق ومنه ما يكون في الكيف وهو الذي سمي استحالة ومنه ما يكون في الكم وهو الذي يسمى نمو ونقصا وهو الذي سمي انتقالا ، ومنه ما يكون في الزمان وهو الذي يسمى تتابع فإذا تغير الشيء في ذاته دفعة واحدة كان تغيره دفاعيا وإذا تغير في الكم أو في الكيف شيئا فشيئا كان تغيره تدريجيا، وقد كان مفهوم التغير في فلسفة أرسطو* معنى خاص وهو انتقال من الضد إلى الآخر وله ثلاثة أنواع:

الأول : هو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود وهو التولد ، أو الحدوث ، أو الكون.

ثانيا: هو الانتقال من الوجود إلى اللاوجود وهو الموت أو الفناء.

---

[1] – خليل أحمد خليل، أحمد عويدات، موسوعة لالاند الفلسفية، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط 2008، دت، ص 167.

* – أرسطو: (384 – 322 ق م)، فيلسوف وعالم موسوعي ومؤسس علم المنطقة، وحدد من الفروع الأخرى للمعارف والعلوم الخاصة كان إبن طبيب باسطاغيرا في شمال اليونان وظل إعتبارا من سنة 367 ق.م، ولمدة عشرين عاما عضوا بأكاديمية أفلاطون، ينظر: خلف الجراد، معجم الفلاسفة المختصر، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 2007، ص15.

ثالثا: وهو الانتقال من الوجود إلى الوجود وهو الحركة.

وقد عرضت المدارس الفلسفية لمشكلة التغير من القديم وبدأ فيه اتجاهان متعارضان واخذ أحدهما بالتغير الدائم وهذا ما عرف عند هرقليطس قديما وبرغسون حديثا ، وآخر بالثبات ومن أوضح ممثليه قديما بارمنديس.[1]

2- ديالكتيك: بالفرنسية DISTICTIQUE بالإنجليزية DIALECTIC

لغة : كلمة يونانية معناها اللغوي فن الحوار والمناقشة خصوصا بواسطة السؤال والجواب.

اصطلاحا: فقد استعمل هذا المصطلح من قبل مختلف الفلاسفة فقد استعملها برمنيدس الإيلي للدلالة على نوع من الحجاج، يقوم على افتراض ماذا عسى أن يحدث لو أن القضية معطاة على أنها صحيحة قد أنكرت عنده أن "ما هو موجود موجود " و "ما ليس موجود غير موجود" فلو أنكرنا هاتين القضيتين لكان هناك شيء آخر ومادام لا يوجد إلا ما هو موجود فقد ثبتت فساد إنكار هاتين القضيتين، ثم جاء أفلاطون* من بعده فاستعمل نوعين من الديالكتيك،الديالكتيك الصاعد** ، والديالكتيك النازل*** ، و الديالكتيك الأول يستخدم العقل والقسمة والتركيب وهما وجهان لعملة واحدة، وهذا الديالكتيك يسمح بالانتقال من الكثرة إلى الوحدة إذ ينتقل من الجزئيات إلى الكليات الذي هو أصلها وأساسها. أما الديالكتيك النازل فيمكننا التمييز بين الصور،

[1] – المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، دط، 1403هـ- 1983م، ص: 50.

* – أفلاطون : (437 – 347 ق م) ، هو فيلسوف يوناني معروف ، ولد في أثينا وعاش فيها معظم حياته التي بلغت الثمانين وكرس معظم حياته في الواقع للعلم والعلوم بفضل أسرته واهتماماته بها معا، ينظر : دافيد سانتالانا ، المذاهب اليونانية في العالم الإسلامي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، دط ، دت ص 22.

** – الديالكتيك الصاعد : هو طريقة للصعود من المعسوس إلى المعقول ، موسوعة عبدالرحمان بدوي.

*** – الديالكتيك النازل : ويقوم عل الاستنباط العقلي للصور الأفلاطونية . موسوعة عبدالرحمان بدوي .

بينما الدياليكتيك في منظور أرسطو هو مقابل البرهان ويقول: "إن التفكير يكون دياليكتيا إذا كان يستند إلى الظنون ويقر بها عامة ".[1]

إن التفكير يكوون حجاجيا معتمدا من طرف الحجاج والرهان هي تلك التي يستند عليها كل الناس .كما جعل هيجل من الدياليكتيك منهج فلسفته ومفاده عنده أن كل فكرة تنطوي على تناقض باطن فمثلا: الوجود يعني إثبات وجود ونفي وجود آخر والدياليكتيك هو العملية التي ستمكن من التطور ومن نضوج الحقيقة الواقعية والدياليكتيك عند هيجل نوعان دياليكتيك تاريخي وديالكتيك وجودي (أنطولوجي).[2]

3- المكان:بالفرنسية ESPACE و بالإنجليزيةSPACE

لغة: هو الموضع وكجمع أمكنة وهو المحل المحدد الذي يشغله الجسم نقول مكان فسيح ومكان ضيق.

اصطلاحا: يقال الشيء فيه جسم فيكون محيطا به ، ويقال مكان الشيء يعتمد عليه الجسم فيستقر عليه والمكان الذي يتكلم فيه الطبيعيين الأوائل هو الأول ، وبعد ذلك فقد أخذ هذا المفهوم عدة تعريفات من الفلاسفة فمثلا عند الفرابي* في كتاب الحروف أن أرسطو طاليس لم يحد المكان في السماع الطبيعي قال إنه نهاية المحيط فقد جعل المحيط جزءا من حد المكان وجعل ماهيته تكمن بأنه محيط، والمكان الخاص مشترك في المكان الخاص هو الحيز الذي يشغله الجسم بمقداره والمكان المشترك هو الذي يشغله جسمان أو أكثر على حد أرسطو، ويتصف المكان بالإطلاق بأنه متجانس ومتصل وغير محدود ، أما المكان من الناحية الرياضية بأن له ثلاثة أبعاد.[3]

---

[1] – عبدالرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1984، ص486.

[2] – المرجع نفسه ، ص488.

* – الفرابي: farabi(339هـ– 260هـ)، ثاني فيلسوف ذي شأن في الفسلفة الإسلامية الملقب بالمعلم الثاني كان مترجما للفسلفة اليونانية ، أنظر موسوعة عبدالرحمان بدوي ، ج2 ، ص 94.

[3] – مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر ، دم، دط ، 2007م، ص 618.

والمكان عند الحكماء الإشراقيين هو البعد المجرد الموجود وهو ألطف من الجسمانيات وأكثف من المجردات، والمكان عند المحدثين وسط مثالي غير متداخل الأجزاء ، محيط بكل امتداد متناه وهو متجانس الأقسام متشبه الخواص في مختلف الجهات، متصل، غير محدد ، وهناك أنواع من المكان لمسيا، مكان بصريا مكان عضليا وهي كلها من المعطيات المباشرة أما المكان الهندسي المتجانس هو المكان المجرد وهنا إذا جمعننا بين الزمان والمكان تولد منهما مفهوم جديد يطلق علهما إسم زمان مكان وهو ذو أربعة أبعاد، أعني بالطول والعرض والعمق والزمان وهذه الأبعاد هي التي تحدد كل ظاهرة طبيعية لأن الظاهرة لا تحدث في مكان وحده بل تحدث في الزمان والمكان معا.[1]

4-الصيرورة : بالفرنسية DEVENIR بالإنجليزية BECONING

لغة: هي انتقال الشيء من حالة إلى أخرى أو من زمان إلى آخر وهي مرادفة للحركة والتغير من جهة كونهما انتقال من حالة إلى أخرى كالانتقال من الوجود بالقوةة إلى الوجود بالفعل، والشيء المتصل بالصيرورة نقيض الشيء المتصل بالثبات والسكون[2].

إصطلاحا: وهو في حالة متوسطة بين العدم والوجود والصيرورة في منظور هرقليطس هي الصراع بين أضداد ليحل بعضها محل بعض و هي التغير والتحول والتبدل الدائم والمستمر، فلا شيئ عنده يقف على حاله ولا شيئ يبقى كما هو، صيرورة هيجل* سر في صميم الوجود أعني سر التطور وهي التي تحل التناقض بين الوجود واللاوجود ، وإذا كانت الصيرورة صدى الزمان فالديمومة لا حتمية وهنا لا نستطيع أن نتصور إحداهما دون تصور الآخر لأن الصيرورة إذا خلت من الديمومة لم يكن بين حالاتها ارتباط والديمومة إذا خلت من الصيرورة لم تؤلف زماننا متصلا والفرق بين الصيرورة والمصير والكون أن الصيرورة حركة وانتقال وتغير والمصير منتهى الأمر وعاقبته.[3]

---

[1] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دط ، 1982، ص 412- 413.

[2] – مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر والتوزيع، أردن-عمان، ط1، 2012، ص 297.

* – جورج فريديريك فيلهام هيجل (1770- 1831م) واحد من أهم المفكرين في العصر الحديث الذي ترك تأثيره الفلسفي على مدارس فكرية مختلفة، ينظر: علي حسين الجابري، الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، دار مجدو لاوي للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن،ط1،1498هـ /2007م ص 177.

[3] – عبدالرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج1 ، مرجع سابق، ص ص 748- 749.

وقد أثار هذا المصطلح في الفكر اليوناني وهذا ما و جدناه عند الإيليون ورأي هرقليطس وحاول الفيثاغوريين الجمع بين الرأيين فقالوا أن الموجودات في حالة صيرورة لكن في صيرورتها تخضع لقوانين رياضية ثابتة بينما في نظر أفلاطون هو انظر إلى المحسوسات على أنها في حال صيرورة بوصفها نسخا من الصور أو المثل والوجود المضادة عنده ليس موجودا بالمعنى الحقيق وإنما وكجود الصور.[1]

5- الزمان : بالفرنسية TEMPS بالإنجليزية TIMO

إن مفهوم الزمان مفهوم شغل تفكير الإنسان منذ ابتداء وعليه وأشكال الزمان قائم في طبيعة الزمان نفسه من حيث أنه دائم السيلان ، ذلك أن الأجزاء التي يتألف منها الزمان كمما لا حظ أرسطو احدهما كان ولم يعد موجودا والثاني لم يأت بعد والثالث لا يمكن الإمساك به فأجزاؤه أعدام ثلاثة وما يتألف من أعدم يبدو من المستحيل أن يشارك في الوجود ، وقد رأى الفلاسفة الطبيعين الأوائل قبل سقراط أن ماهية الزمان تكمن في الحركة ولهذا جاء أرسطو في تعريفه للزمان وربطه بالحركة وأن التعريف الشائع عند اليونانيين قل أرسطو المتمثل في:

1- ارتباط الزمان بالحركة.
2- أن الزمان مقدار أي عدد الحركة وليس الحركة نفسها.
3- أنه ولو مقدار الحركة ومقياسها فإنه في الآن نفسه يقاس هو ذاته بالحركة .
4- إن هذه الحركة التي يقاس بها هي الحركة العاملة للكون .
5- أنه مصدر الكون والفساد وهو بالتالي قوة فاعلة وليس شيئا سلبيا.
6- أنه ليس متوقفا ولا مرتبطا بالنفس الإنسانية وإن كان مرتبطا بها هي النفس الكلية.[2]

6- الحركة : بالفرنسية MOUVMENT بالإنجليزية MOVE

[1] – عبدالرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1984م ، ص49.
[2] – عبدالرحمان بدوي ، موسوعة الفلسفة، ج2 ، المرجع نفسه، ص 50.

لغة :عند الفلاسفة القدماء لها عدة تعريفات :

1- هي الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج ومعنى التدريج هو وقوع الشيء في الزمان يعد زمان.

2- الحركة هي شغل الشيء حيزا بعد أن كان في حيز آخر آو هي كونان في أنين ومكانين بخلاف السكون الذي هو كونان في أنيين في مكان واحد ، كما يمكن القول بأن الحركة تعتبر حالة من حالات الوجود كمادة أو بالمعنى الأدق الحركة هي التغير الذي يحصل في العالم ولا يمكن أن يوجد في العالم مادة بدون حركة وحركة المادة مطلقة بينما حركة السكون نسبية ، وحيث أن العالم لا نهائي كل جسم يشترك في عدد لا نهائي من أشكال الحركة لهذا تعتبر الحركة دائمة ومتواصلة في الجسم الساكن نظرا إلى تفاعل جزئياتها الصغيرة.[1]

وتوجد هناك أنواع من الحركة هناك حركة قمرية وهي الحركة التي يكون مبدأها لسبب الميل منقاد من الخارج ، بينما الحركة الذاتية هي التي يكون مبدأها مستفاد من الداخل وقد ارتبط أصول مقولة الحركة الذاتية وتطورها في تاريخ الفلسفة في مسألة بداية العالم ووجوده وسبب الأول أو المحرك الأول ، وقد حاول الماديون تفسير الحركة بقوى وصفات كاملة في الطبيعة ذاتها وذلك من خلال تجمع العناصر الأولية وانقسامها لهذا التفسير (المدرسة الأيونية).[2]

7- الوجود : بالفرنسية EXISTENCE بالإنجليزية EXISTENCE

[1] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج1،دار الكتاب اللبناني،بيروت لبنان،دط،1982 ص 457..

[2] – جلال الدين ساعد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، دط ، دت، ص ص154-155.

لغة:مقابل العدم، وهي كلمة مألوفة في جميع اللغات تعبر عن لفعل (وجد) بمعنى أن يكون له مكان وكينونة، غالبا ما ترافق كلمة الوجود أو فعل وجد مع أشياء حقيقية أي لها كينونة، وبالتالي يختلف تعريفه بحسب الرؤية الكونية أو المدرسة الفلسفية[1]

اصطلاحا: إن الوجود هو كون الشيء حاصلا في نفسه مع أنه لا يكون معلوما لأحد فوجود بذاته مستقلا عن كونه معلوما وأن الوجود هو الحقيقة الواقعة الدائمة ، أو حقيقة التي نعيش فيها وقد يراد بالوجود بالمعنى الأعم من ذلك ليطلق على الوجود الشيء في ذاته أو على وجود الشيء بالشيء، أو للشيء ، ووجود الشيء للشيء ويكون على معنيين :

الأول: وجود الشيء لغيره بأن يكون محمولا عليه ومستقلا بالمفهومية عنه كوجود الأعراض.

ثانيا: وجود لغيره بأن يكون رابطا بين الموضوع والمحمول وغير مستقل بالمفهومية عنه والوجود عند الفلاسفة المدرسين مقابل للماهية، لأن الماهية في الطبيعة المعقولة للشيء والوجود هو التحقق الفعلي له ، وينقسم الوجود إلى وجود خارجي، ووجود ذهني ، فالوجود الخارجي عبارة عن كون الشيء في الأعيان وهو وجود مادي.

والوجود الذهني عبارة عن كون الأشياء في الذهن وهو وجود عقلي ومنطقي، ومن الفلاسفة من يقول "أن وجود الشيء زائد على ماهيته ".[2]

كإبن سينا* الذي يرى أن الوجود عرض في الأشياء ذوات الماهية المختلفة المحمول عليها خارج عن تقويم ماهياتها.

[1] – مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 680.

[2] – جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2، مرجع سابق،.ص558– 559.

المبحث الثاني: فلسفة هرقليطس

حياته: (540– 475 ق.م): ولد هرقليطس في أفسوس من أسرة عريقة في الحسب والنسب وزهد لمال وتوفر على البحث والدرس والتمحيص ومع ذلك ظل استقراطيا بكل معنى الكلمة يعتد بنفسه ويكرمها ويباعد بينها وبين الناس وكان يحتقر العامة وعبادتها الباطلة، ومعرفها التقليدية كما احتقر العلماء أيضا الذين يشتغلون بالعلوم الجزئية ورأى أن العلم الجدير بالبحث هو الذي يثقف العقل والفكر وهو التفكير العميق في المعاني الكلية غير أن أسلوبه في الكتابة كان غامضا .

وقد أكد انصرافه عن السياسة وانعزاله عن الناس وكراهيته للسياسة الديمقراطية وهذا ما عرف عن طبعه المكتئب الحاد ويتضح عدم احتماله لجهل الناس وتعاليه عليهم في قوله "إن الفرد الواحد يساوي عندي عشرة آلاف إن كان ممتازا"[1]

مؤلفاته: لقد دون هرقليطس كتابا واحدا بقيت منه مئة وثلاثون شذرة ، ويصفه ديوجين لايرتوس بان عنوانه في الطبيعة وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

1- قسم في طبيعة الكون.

2- قسم في السياسة .

3- قسم في الثيولوجيا.

وقد أهدى هذا الكتاب إلى معبد أرتاميس واتفق اغلب القدماء على أن الكتاب صعب الفهم وصفوا مؤلفه بأنه غامض الملغز ويقول ديوجين "أنه قد تعمد الغموض حتى لا يقرأه إلا من يقوى

---

* – ابن سينا: (370 هـ – 980م) هو أبو علي الحسن بن عبدالله ابن سينا ، ولد في قرية أفشنة التي منها أم ابن سينا كانت حياته حافلة بالإحداث للإتصال بخدمة الحكام والسلاطين وتقلده للوزراء، ينظر موسوعة عبدالرحمان بدوي ، ج1 ص 40.

[1] – محمد حسن بخيت ، الفلسفة الغربية القديمة ، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع إربد ، شارع الجامعة ، ط1 ، 2012، ص 43.

على فهمه من خاصة القوم [1]"، وقد تعمد هذا الأسلوب لدفع القاريء إلى التفكير بدل الأسلوب السهل الخطابي.

نظرية المعرفة عند هرقليطس: إن كل فيلسوف إلا وتكن له نظرية معرفية وعلى أي أساس يعتمد في معرفته، وهذا ما نجده عند هرقليطس حيث يعتبر كمثل سابقيه فإن المعرفة عنده تتقاطع فيها اهتمامه بالحواس مع اهتمامه بدور الإلهام والحدس وللعقل الاستدلالي دورا بينهما، فقلد قدم صورة شبه كاملة لنظرية المعرفة عنده يعترف بكل أدوات المعرفة الإنسانية فقد أطلعنا هرقليطس في البداية على إيمانه بأهمية المعرفة الحسية في قوله : "إني لأمتدح كثيرا ما يرى وما يسمع ويحفظ ".[2]

وهو بذلك يقدر دور الحواس وخاصة حاسة البصر والسمع ونهما بلا شك أنهم الحواس الإنسانية المعنية بمعرفة جديدة جمع المعلومات التي يمكن أن تختزنها الذاكرة وهو بذلك يؤكد على "أن العين أصدق خبرا من الأذن" فهو يرى بذلك أن العين هي أكثر دقة وأكثر صدقا في إدراك الشيء بصورة مباشرة ، ومن ناحية أخرى هو ينتقد دور هذه الحواس من خلال تساؤل مطروح: هل هناك تناقض في أقواله السابقة عن الحواس؟ وهذا ما أشار إليه هرقليطس في ظاهر بعض النصوص فهو من جهة يحترم الحواس ويقدرها ومن جهة أخرى يعتبرها سيئة وشهود زور حينما يقول في شذرة: "إن العيون والآذان شهود سيئة للإنسان ".

فبالرغم من اعتراف هرقليطس بأهمية الحواس ودورها في المعرفة الإنسانية إلا أنه يعتبرها ناقصة وينبغي أن يعقبها درجات معرفية أخرى أهم، لذا تعتبر نسبية لإدراك الحقيقة لخاصة إلا إذا كانت الأرواح بربرية وهنا يقصد هرقلييطس بهذه الأرواح البربرية أنه ما كان سائدا في اليونان هو عدم احترام الأجانب والبربر الذين يعتبرون في نظرهم هم مجرد الرق والعبيد لا يصلحون إلا للأعمال الشقة وهذا ما يفسر تفكيرهم من خلال إنهاك العقل وتوقفه عن عمله وإنهاك الجسم بهذه الأعمال وهنا يريد

[1] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، السابقون على السفسطائين،ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، عبده غريب، القاهرة، دط، 1998،ص 130.

[2] – المرجع نفسه، ص 130.

هرقليطس أن يبين أن الأعين والآذان تكون مظللة لأصحاب هذه الأرواح البربرية الذين يكتفون بها كمصدر، والمعرفة نعن طرق الحواس تؤدي إلى كثرة الحفظ وكثرة الحفظ لا تؤدي إلى الحكمة لابد لنا من رفع درجات المعرفة مادامت الحواس لا تطلعنا إلى الحكمة وهنا يشرع في تحليل ما تنقله لنا الحواس وبهذا يبدأ دور العقل في المعرفة ، فالفكر هو مشترك بين الجميع لأن الخبرات الحسية تختلف باختلاف الأشخاص، وقد رمز هرقليطس لذلك بعالم النوم أشبه بالكهف لابد لكل واحد منا أن يتجاوز هذا الكهف ول يصح لنا أن نسلم بصحة أي شيء إلا إذا اتفقنا عليه، وهذا ما أشار إليه من خلال قوله:" مع أن هذا اللوغوس حقيقة أزلية إلا أن الناس يعجزون عن فهمه حتى بعد سماعهم له لأول مرة كما لو لم يسمعوه من قبل "[1]، ويرى أن كل شيء وفقا لطبيعته ووفقا لهذا اللوغوس بحيث يرى أن منهجه يتلخص في تفسير كل شيء وفقا لطبيعته ويحدد كيف يسلك ، أما سائر الناس فهم على عكس من ذلك يكونون في يقظتهم غير منتبهين وناسين كل ما يدورحولهم كما لو كانوا في سبات عميق لذا يجب علينا أن نتبع ما هو مشترك بين الجميع.

ومع أن كلمة اللوغوس عامة إلا أن معظم الناس يعيشون وكأن لكل واحد منهم فكره الخاص وعالمه الخاص، كما نجد أن هرقليطس يفرق بين العقل الإنساني واللوغوس الإلهي لذا يذهب إلى أن جوهر العقل الإنساني من حقيقة هذا الجوهر الإلهي فالإنسان يعرف حقيقة بأن يتحد بها اتحادا كليا ولذلك هاجم العلماء الفلاسفة ووصفهم بأنهم لا يصلون إلى الحكمة ولا يدركون اللوغوس وأن المعلومات كثيرة لا تكفي للفهم والتزامه بالمنطق العقلي ، قد ظهر في قوله : "إن للإيقاظ عالمهم المشترك أما النيام فلهم عالمهم الخاص"[2] فالمعرفة لا تتم إلا باليقظة والانتباه والاعتماد على الحواس فهو يقدر موضوعات البصر والسمع والتعلم أكثر من أي شيء آخر ولكن مع ذلك الحس لا يكفي

[1] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق،ص131.

[2] – أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها مشكلاتها ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، طبعة جديدة، 1998م، ص60.

إن لم يكن وراءه تفكير وتعقل ويؤكد على ضرورة تعمق الإنسان لما وراء الظواهر المحسوسة من علاقات ومعاني تحتاج إلى فهم واجتهاد في التفكير المجرد.[1]

فلسفته الطبيعية: إن أول ما يطلعنا في فلسفة هرقليطس الطبيعية هو نظرته للعالم ، هذا العالم الذي هو واحد للجميع لم يخلقه إله أو بشر لكنه كان منذ الأبد وسوف يوجد في الأزل أنها النار التي تشتعل بحساب وتخبو بحساب، فهو بهذه العبارة يكثف رؤيته لحقيقة هذا العالم الطبيعي وجوهره فاللوغوس الذي يحكم الأشياء ويحركها هو النار سواء كان ذلك في ماض أو حاضر أو مستقبل فإن هرقليطس هنا يريد أن يؤكد انتماءه إلى الفكر الأيوني المادي الذي ينظر إلى الكون ككل على أنه قد نشأ من تلقاء نفسه وأن كل العمليات التي تجري فيها من تلقاء نفسها، ولقد فسر هرقليطس وجود هذا العالم من خلال النار الخالدة التي اعتبرها أقرب إلى الطاقة الداخلية الملازمة لحياته وتجدده، ومن الواضح أن هذه النار ليست النار المحسوسة المادية التي اعتبرها الملطية أحد العناصر الأربعة بل هي تلك التي تكون رمزا للحياة والحيوية أي أن لها عقلا ينظم عملية الاشتعال والخبو أو الوجود والفناء في هذا العالم وبالطبع فإن هذه النار مبدأ النار الحية العاقلة سرعان ما تسري منها التحولات وتتحول إلى نار محسوسة وتخرج عنها بقية العناصر وهذا ما عبر عنه هرقليطس من خلال التصور التي تتحول عنها النار: البحر ثم يصنف البحر أرض، ونصفه الآخر أعاصير وهذا ما ذهب إليه هرقليطس أن النار هي العنصر الأول الذي خرج منه كل شيء، فباعتبار أن طاليس كان يعتبر الماء أصل الأشياء وأن أناكسيمانس ظن أن العنصر الأول هو الهواء وها هو هرقليطس قد أثار النار وأن هذا العالم الذي كان ولا يزال وسيظل إلى الأبد نار ما تنطفيء في الحياة باعتبار أن هذه النار متحولة وان الإنسان سيتوقع في عالم كهذا تغير لا ينقطع وهذا التغير الذي لا ينقطع هو ما آمن به هرقليطس.[2]

[1] – أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها مشكلاتها،المرجع نفسه، ص62.

[2] – براترندراسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، تر: زكي نجي محمود ، راجعه أحمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط، 2010م، ص 90.

وقد استرعى التغير المستمر والسيلان الدائم في الطبيعة نظر هرقليطس واعتبر الحقيقة الوحيدة الدائمة لذلك ردد القدماء عبارته الذي يذكر فيها أن كل شيء في تغير ولا شيء ثابت والنار التي هي مبدأ كل شيء يجري فيها هذا التغير الدائم، ومن ثم فهي رمز لحقيقة الوجود ويتم هذا التغير حتى يصير هذا الشيء إلى ضده فحقيقة الوجود في نظره تقوم على أساس التوتر من الأضداد فهو يعتبر الأضداد متحدة بعضها البعض وهكذا لا يجري الصراع والتغير بطرقة عشوائية ولكنها جميعا تكشف عن معقوليته وقانون كوني وائتلاف خفي.[1]

هو أيضا اللوغوس إن الحكمة الواحدة أن تعرف العقل الذي يحرك الأشياء ، فالأشياء في تغير متصل والتغير هو قانون الوجود والاستقرار هو الموت والعدم "أنت لا تنزل انهر الواحد مرتين فإن مياها جديدة تجري من حولك أبدا "[2] والصراع أبو الأشياء كلها، لولا المرض لما اشتهينا الصحة ، ولولا العمل لما نعمنا بالراحة، ولولا الشر لما كان الخير، والعالم هكذا مستمر من الأزل إلى الأبد لا يخضع إلا لتلك النار العالمية وعليه فإن فلسفة هرقليطس تقو على دعامة وحدة الوجود والتغير وهذا كان له تغيير بالغ على السوفسطائيين فيما بعد لأن وحدة الوجود تعني أن الشيء الواحد بعينه موجود وأن التغيرات مجرد مظاهر وهذا ما يدعو إلى الشك والحيرة .

المبحث الثالث: المرجعية الفكرية

لا يمكن لأي فلسفة أن تقوم بذاتها إلا وتكون لها أسس ومنطلقات تساعدها على ذلك وهذا ما نجده في الفلسفة اليونانية وفلاسفتها لأن التفكير الفلسفي نشأ أول ما نشأ في الحضارات الشرقية القديمة ، بحيث تناولت هذه الحضارات مختلف المسائل الفلسفية بما فيهم مشكلة أصل العالم ونشأة هذا الكون وقد أصبح الكثير من مؤرخي الفلسفة يؤمنون بأن جذور الفلسفة اليونانية قد نبتت في مصر القديمة باعتبار أن مصر أول بلد المعارف والعلوم ولا شك أنهم أخذوا عنها الكثير ، فقد عرفوا

[1] – أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها مشكلاتها، المرجع السابق، ص 69.

[2] – المرجع نفسه ، ص 70.

بمختلف العلوم: كالهندسة، الرياضيات ، وتفسيرهم وتقسيمهم للعالم وأصل الكون فقد عرفت مصر بمكتبتها الشهيرة الإسكندرية مدرسة تخرج منها العديد من فلاسفة اليونان والرومان وجعلوا منها نقطة إنطلاق تفكير العلمي والفلسفي.[1]

وقد كان من الطبيعي أن تكون أول قضية التي انشغل به فكر الإنسان المصري القديم قضية تفسير العالم الطبيعي وأصل وجوده ، بحيث كانت هذه الفكرة من شأن جميع الفلاسفة والعلماء في تلك الحقبة منذ فجر التاريخ من خلال التساؤل ، كيف جاء ذا العالم؟ ومن صنعه؟ وما هي القوى التي تتحكم في حركته؟ وقد تنافس في التراث الفكري المصري أربع تفسيرات من خلال أربع مذاهب المتمثلة في:

المذهب الشمسي : ينسب هذا المذهب إلى أهالي مدينة أون هليوبوليس مدينة شمس ، وهي من أقدم المذاهب المعروفة في تفسير نشأة الوجود للحضارة المصرية القديمة ويكمن هذا المذهب من خلال النص الذي وجد داخل هرمن (مرن) ،(رع)، أي يرجع إلى حوالي القرن الرابع والعشرين ق.م،وقد ذهب أصحاب هذا النص المتمثلين في: أتوم ، رع ، الملك نفر، إلى نشأة الوجود وبدء الخليقة فهم يرون أن هناك ماض سحيق قديم لم تكن فيه أرض ولا سماء ولا كائنات ولا بشر وإنما عدم مطلق وهذا العدم المطلق لم يكن يشكله سوى كيان مائي لا نهائي العظم ، وأطلقوا عليه إسم "نون" ، وقد ظهر في هذا الكيان المائي اللانهائي العظم روح الإله أزلي أتوم الذي يجمع بين ضدين من معاني العدم من خلال نشأة صاحبه من العدم والمعنى الثاني الشمول والاكتمال وذلك عما أراد وتصوير الإله به من قدرة وجلال وقد كان هذا الإله منفردا بالوحدانية على الرابية حتى أوجد من نفسه عنصرين من عناصر الجود أحدهما تكفل بأمر الهواء والفضاء والنور وعرف باسم "شو"، والآخر

[1] – محمد حسن مهدي بخيت ، الفلسفة الغربية القديمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1، 2012،ص ص 18- 19.

باسم "تفنوة" واختلط العنصران وتفاعلا وتزاوجا فتولد عنهما بقية التاسوع الإلهي العظيم قد كانت السماء والأرض منفصلين جسدا وروحا.[1]

إلا أن أذن الإله أن يبزغ من ربينهما فجر الحياة فأوحى إلى "شو" أن يفصل بينهما فرفع شو بذلك السماء عن الأرض وملأ الفراغ بينهما بالهواء والضياء وكانت هيئة الوجود بهذا الشكل مهيأة لوجود الكائنات الحية والإنسان وبهذا استكمل الخلق بأن تولد عن الإلهين أربعة عناصر أخرى منها: أوزيريس وأنثاه إيزيس ، واست وأنثاه نيفنيس وبهذا اكتمل التاسوع الإلهي العظيم الذي عد أصل الوجود بكل ما فيه من عوالم وكائنات حية وجماد وهكذا استمرت التفسيرات والتأويلات لهذا المذهب تتوالى واحدا بعد الآخر حسب الظروف السياسية والدينية التي مرت على المدينة وقد اتخذت هذه التغيرات عدة صور وأشكال متعددة، الفلسفي ، المادي ومنها الشعر الأسطوري وفي كل هذا نجح اجتهاد العقل المصري في تفسير أصل الوجود وكيفية نشأة هذا العالم الطبيعي.

المذهب الأشموني: وقد نسب هذا المذهب إلى الأشمونيين فإن تفسير الوجود في هذا المذهب يرجع إلى الجدل الذي كثر حول للمذهب الشمسي فقد حاول الحكماء في البداية أن يشككوا في بعض عناصر المذهب الشمسي متسائلين فيما ينهم إذا كان راع أتوم قد خرج أصلا من نون كما قال أتباعه وبعد هذا التشكيك وتلك التساؤلات كانوا على المفكرين أن يقدموا تصورهم لنشأة هذا الوجود يتقدمه أربعة عناصر الممثلة في : ماء كثيف ، ظلام محيط ، وقدرة منطلقة دافعة ، وعنصر لطيف لا يرى ، وكل هذه العناصر الأربعة تكفل بها التوأمان يتفقان في الطابع ويختلفان في الجنس فيعتبر أحدهما الأصل والآخر الفرع لهذا تعتبر هذه العناصر أساسية عند الأشموني ، وهذا هو أصل الثامون وطبقا لفلسفة الأشمونيين اللاهوتين ، ل يكن ثمة شيء ما في البداية سوى اللاوجود أو الفوضى ذاتها ، التي تخيلها المصريون إما كعنصر عبارة عن المياه الأزلية أو قوى تتجسد في الإله "نون" الذي أطلق عليه إسم لواحد القديم فهو المبدأ الأول أو الأصل الأول ، وقوام هذا الأزل خواص أربع

[1] – مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، عبده غريب ، ط1، 1997م، ص 54.

يمثل كل منهما زوجين: ذكر وأنثى من المعبودات ، فالخاصية الأولى في العمق العظيم ثم اللانهائية ، ثم الظلام المخيم ، فلا رؤيا.[1]

وقد ففسروا نشأة الوجود من خلال الثامون وهذا من خلال التوأم الأول : في بداية محيط مائية كثيف استقر فيه واتخذه مظهرا لوجود ومع أنثى توائمه تدعى "ناو نت" أما الروح الثالث أحاط نفسه بظلام كثيف اتخذ منه لوجوده ومعه أنثى تمثله "كاوكت" أما الروح الخامسة فقد تمثل في تلك القدرة المنطلقة الدافعة التي اشتق أصحاب المذهب اسمها لفظ يدل على الحركة المماثلة لاندفاع الأمواج انسياب المياه فسموها "حوح" ووجد إله أنثى التي تقاربه اشتق اسمها من اسمه فسميت "حاوحت" أما الروح السابع فهو العنصر اللطيف الذي يرى أي هواء ، وقد سموها بأسماء مختلفة منها : تنمو ، أونياو، وأحيانا جرح أو أمون وافترضوا له أنثى تماثله وجعلوا اسمها مشتق من كل المسميات السابقة وأشهرها "أماونت" وتجمعت هذه العناصر أو الأرواح الثمانية بما فيها من ذكر وأنثى وشاءت أن تغير ما هي فيه من كيان قديم بكيان آخر وهكذا نلاحظ الاختلاف بين المذهب الشمسي والمذهب الأشموني في عنصرين أساسيين[2] :

1-حول الأصل الإله **أتوم** رع فهناك من يرى أنه وجد من العدم ، أما المذهب الثاني يؤمن أنه جاء بعد **ثامون** من خلال تعاون تلك العناصر الأربعة والأرواح الثمانية.

2- يتمثل في اختلاف هذه العناصر الأساسية للوجود لأن التصور الشمسي جاء واضحا في تأليف هذه العناصر المختلفة للوجود وأن الجميع قد أتوا بفضل الإله أتوم باعتباره الإله الخالق ، ونجد أن المذهب الأشموني بما تمنه من عناصر فلسفية هو ما انتقل عبر الطبق المثقفة من مصر إلى بلاد

[1] – جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي القديم بداية التأمل الفلسفي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1، 1431هـ- 2001م، ص 69.

[2] – جمال المرزوقي ، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

اليونان فهناك عناصر تشابه كبير بينه وبين بدايات التفكير اليوناني إن أسلوبي الإغريقي والشرقي في تفسير الطبيعة فكلاهما يستهدف النظرة المنظمة للكون بوصل العناصر فيما بينها.[1]

المذهب المنفي: وينسب هذا المذهب إلى مدينة منف التي أسسها الملك مينا وقد ازدهرت منف في ذلك الوقت لمكانتها السياسية وقد واكب مفكرو المدينة هذا الازدهار بمدينة فحاولا إثبات تفوقها ، والطبع فقد نشط أهل الفكر في منف حتى يقدموا مذهبا فكريا جديدا ينطوي بداخله تلك التفسيرات السابقة حتى يتجاوزها جميعا بما فيها من تصورات لمسألة الخلق وكيفية الوجود ، وبداية في هذا المذهب تنطلق من أمرين هما:

- الإخلاء من شأن المدينة وأربابها.
- احتواء المذهبين السابقين بنقدهما وتأويلها ليصبح جزء من مذهبهم الخاص.

وقد وصل فلاسفة منف إلى افتراض الوجود إله الخالق وإلى افتراض أنه قد دبر وفكر قبل أن يخلق ويعمر وأنه قد شمل الكون والكائنات وهذا ما جعل المنفيون يصنفون الإله "بتاح " بصفات جديدة ، فقد أعلن بتاح كما نهى إلى علمنا بوصفه نائبا عن كل الألهة غيره أعلن عن أسماء كل الأشياء ، خلق بصر العينين، وسمع الأذنين ، وتنفس الأذن حتى يمكن أن ينتقل إلى القلب المتسبب في أن كل نتيجة يجب أن تظهر ، وه اللسان الذي يعلن عن فكر القلب وبعد ذلك يقول: " ومن ثمة فقد تبين أن قوته "قوة بتاح" كانت تفوق قو كل الألهة ، ومن ثم أحس بتاح بالرضا بعد أن صنع الأشياء كلها ونفذ كل كلمة مقدسة "[2]، ونفهم من هذا القول من أن قوة بتاح تفوق قوة كل الألهة مما جعلها تقر بصنع الأشياء كلها ولما تقلد بتاح بجرأة مهام الإله شمس أعلن انه الخالق ومحرك

[1] – مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، المرجع السابق، ص 69.

[2] – أ، و، ت، توملين ، فلاسفة الشرق ، تر: عبد الحميد سليم ، راجعة علي أدهم ، دار المعارف ، كورنيش القاهرة ، ط2، 1119م، ص39.

الأشياء كلها وكان عضواه الخالقان هما القلبواللسان البؤرتان الخاصتان بالفطنة والتعبير لذلك فإن كل شيء في العالم هو تجسيد للفطنة المدركة التي جاءت بها إلى الوجود .[1]

المذهب الواستي : وهي نسبة إلى مدينة واست القديمة والتي عرفت في الزمن القديم باسم "واست" أي مدينة الصولجان وقد عرفها اليونان باسم طيبة، بعد أن أصبحت العاصمة الإمبراطورية المصرية الكبرى وقد نشط فلاسفتها ليمزجوا بين التفسيرات القديمة لأصل الوجود وكيفية الخلق بطريقة جديدة أعطت سيادة لمدينتهم ، وجعلها أصل المدنفقد كتبوا أن مدينة واست هي أحق من كل مدينة فتوفر فيها المياه واليابس منذ الأزل و زادتها الرمال وبذلك تكونت الأرض وأمكن أن يحدث فيها الخلق ، هي مدينة قيل عنها في الأزل ما عرفت باسم "واست" وأنها مدينة سوف تخلد وسوف تنعم باسمها وجات ولاسيما إنه إسم العين اليمنى للإله شمس بالذات وبهذا صور فلاسفة واست على أنها الأحق أن تكون أقدم المدن وأعظمها فهي كانت أول ما ظهر على التل الأول والأعظم ، وهو بداية الوجود وقد ذكر فلاسفة المدينة عن الإله أمون في النص التالي :

- أنه وجد دون أن تعرف له نشأة.
- وجد من تلقاء نفسه .
- لم تكن له أم تبتدع له إسم أو ولد يحبه.
- أنه أمون الذي صدر عنه النون.
- أنه من هدي الخلائق أجمعين.
- وأنه من استكمل ذاته في هيئة أتوم وأنه بداية الوجود[2].

ومن هنا نلاحظ أن الإله أمون قد خلق نفسه بنفسه تحيز لنفسه مكانا قدسيا واستقر فيه مختفيا لذلك سمي "أمون رنف" أي "أمون الخفي" كما أنه اتخذ كيانا جديدا وسط ثامون الإلهي عند

[1] – مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، المرجع السابق، ص 73.

[2] – أ، و، ت، توملين ، فلاسفة الشرق ،المرجع السابق، ص 74.

أصحاب المذهب أشموني فكل هذه الصور المتعددة اتخذها أمون لنفسه ولهذا أراد فلاسفة وست القدامى أنؤيكد للناس أن الروح الإلهية التي اعتادوا أن يتعبدوا إلها في معابد واست هي مجرد روح واحدة وان تعددت أوضاعها فهي قد صدرت جميعا عن الواحد وحقيقة هذا التفسير الواستي بحكم ما تيسر لمدينة واست القديمة ، غير أنه يبقى المذهب الأشهر والأكثر شيوعا بين المصريين ويرجع ذلك لسببين هما :

1- أنه لخص كلل المذاهب السابقة واعتبرها نابعة عن المذهب باعتبار أن الإله أمون كان هو أول خفي وكان هو آخر ظاهر.

2- أنه كان الأقرب إلى تصور المصريين القدامى في الحقبة التاريخية لفهم الإله رغم اختلاف تسميتهم وأن كل هذه التفسيرات المختلفة لأصل الوجود وجوهر العالم الطبيعي ، قد فعلت فعلها في التراث الفكري المختلف في بلاد الشرق القديم دليل على أن أصل العالم هو ماء ما قد عرف عن المصريين أولا ثم ما قدمه طاليس ثانيا، فقد كانت طبيعة الفكر المصري وحده هي التي أدت إلى تعدد الألهة في دياناتهم مع إحساسهم بوجود إله عام يهيمن على الكون كله فقد اعتمد التفكير المصري على تعدد الألهة في تفسير هذا الوجود وكان مفهوم هذا الوجود تجربة تبتلى بها الروح في الحياة الأرضية تصبح بها الظروف والقدرة مصيرا إنسانا.[1]

الحضارة البابلية:

هذا ما وجدناه في الحارة البابلية حيث كانت أول الحضارات العظيمة وأول منطقة في الحضارة هي حضارة السومريين بالرغم من أنهم لم يستطيعوا أن يخلقوا أنفسهم فلسفة منظمة غير أنهم انشغلوا بتأمل الكون وتساءلوا عن طبيعته وأصله فقد بلوروا موقفهم في مسألة أصل الوجود على النحو التالي:

[1] – المستشار سعيد العثماوي، تاريخ الوجودية في الفكر البشري ، الوطن العربي ، بيروت ، ط3، 1970م، ص 39.

1- أن البحر أول ما وجد منذ الأزل، أن هذه الأرض قد ولدت الجبل الكوني المؤلف من السماء والأرض متحدين.

2- تصورهم للآلهة على هيئة البشر وهذه الأرض كانت شائعة في الحضارات الشرقية القديمة بحيث كان الإله (أن) السماء مذكرا والآلهة (كي) أي الأرض كانت الأنثى ومن اتحادهما ولد إنليل، فصل الإله إنليل عن أبيه السماء واتحد مع أمه إله الأرض تنظيم الكون أي خلق السماء والحيوان والإنسان و نبات وبهذا انتفع البابليون بالنصوص السومرية نشأة الوجود وقصة الخلق بحيث ردت النظرية البابلية أصل الأشياء إلى ماء أزلي اختلط عذبه بالمالحة فالعذوبة يمثلها (اسبو)والملوحة (تيامة) و افترضت النظرية نشأة الأجيال الأرباب في جوف ماء البحر تيامة جيل بعد جيل وكان جيل يفوق الذي سبقه حتى انعقدت أولية الحكمة بينهم الإله (آيا)قد كانت بابل هي مر كز الدولة القوية التي سيطرت على معظم بلاد ما بين النهرين، وقد توسع البابليون فيما روته الأساطير السو مرية القديمة حول نشأة الوجود من الماء وهنا نجد تشابه في المصرية القديمة وهذا لا يدعو للشك أن مفكري الشرق القديم سواء كان مصريا أو بابليا هو أول من أعلن تأملاته أن أصل العا لم هو الماء وذلك من خلال الإله أن كان كل شيء حي وككذلك الكائنات إضافة إلى ذلك كان للأثر الفارسي بصمة في الفلسفة اليونانية فقد كان ذلك واضحا على رؤية هرقليطس لحقيقة النار دائمة الإشتعال واعتبارها رمزا للحياة والبقاء وعلى كل حال فقد عاش في الوقت الذي كانت فيه المدن الأيوني كلها خاضعة للفرس ، كما أنه لم يكن وحده الذي تأثر بهذه العقيدة الفارسية حول النار المقدسة فقد شاركه الاعتقاد بأن أصل العا لم هو النار.[1]

الحضارة الهندية :

تعتبرالحضارة الهندية من أهم الحضارات التي ازدهرت بالعلم والعلوم مما اكتسبته من علوم وتعاليم وهذا ما نسميه بالفكر الهندي لأن الهند عا لم بحد ذاته من خلال لغاتها ودياناتها، وهنا

[1] – مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية ، المرجع السابق، ص ص117- 118.

نكتفي بالإشارة إلى النواحي الخاصة التي تبدو لنا ذات علاقة بالفكر اليوناني والفكر الهندي، فقد استلهم الفكر اليوناني بعض مقوماته وأفكاره من الفكر الهندي وهذا ما استدعى احتكاك بعض الفلاسفة في هذه الأفكار إنما هو نتيجة لمذهب فلسفي أبعد أثرا وأعمق غورا ، فقد نشأت عدة أفكار من بينها فكرة الصيرورة فقد شعر هرقليطس عند اليونان بالصيرورة الدائمة وقال برمنيدس بنسبة كل شيء لكنهما ل يصلا في هذا المضمار إلى الحد الذي بلغ فيه مفكرو الهند ، فقد قالوا بصيرورة لا تقاوم تقودنا حتما إلى مصيرنا وعلة هذه الصيرورة هي ما تقوم به من أعمال وما التناسخ في نظره إلا مثالية هذه الصيرورة التي هي نتاج السلوك الفردي، وهذا ما لاحظناه أن الفكر الهندي واجه هذه المشكلة نفسها مشكلة الفكر الإغريقي ، أي مشكلة الكائن والصيرورة وإمكان المعرفة، وهنا نجد أفلاطون مثل هذا بعالم المثل الثابت وعالم الظاهرات متغير ، كما قال البداهة بمبدأ ثابت أزلي هو الجوهر المطلق لكل وجود وهو برهان وكل ما سواه زائل نسبي متغير.[1]

الحضارة الصينية :

وهنا يمكن الإشارة إلى الفكر الصيني أي الحضارة الصينية التي هي بدورها تحمل فلسفة خاصة بها تحت أفكار ومسلما ومسائل عالجتها كالطبيعة الإنسانية ، نظام لكون الأخلاق وهذا نظرا لتعدد مذاهبها فإن بعض الآراء الصينية ومما يذكر أنه في الألف الثاني قبل الميلاد وضعت خطة مثلى لتنظيم الكون وذلك أن أحد الملوك القدماء سد مياه الفيضان فأدى ذلك إلى اضطراب نظام العالم وجاء بعده (يو) وهو أحد الملوك ى العظماء في أساطير الصين فأراد إعادة النظام ولذلك باستعمال الخط النموذجية التي استعمل فيها خمسة عناصر ضرورية المتمثلة في: الماء ، النار للخشب، المعدن، التراب

[1] – حنا الفاخوري، خليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ج1 ، دار الجيل ، بيروت ، ط3 ، 1993م ، ص ص 28 – 29.

ولكل منها تصرف خاص، تلك النظرة الوجيزة في العقل الشرقي التي تفتح أمامنا أفاق واسعة التي نتج من خلالها أن للفكر الشرقي يدا ي بناء الفكر العالمي وأثرا حقيقيا في الفكر اليوناني خاصة.[1]

الفلسفة اليونانية : لقد مرت الفلسفة الإغريقية بأربع مراحل بحيث تعتبر المرحلة الأولى هي مرحلة ما قبل سقراط من القرن السابع قبل الميلاد ابتداء من طاليس المالطي المتمثلة في الفلاسفة الطبيعيين الأوائل فقد اهتم مفكروا الإغريق الأوائل في هذه لمرحلة بالبحث الطبيعي والتساؤل عن نشأة هذا الكون والعلة الأولى لوجود هذا العالم ومن خلال البحث عن هذا الوجود نشأت لديهم اتجاهات متعددة في هذا الصدد تركز على التغير والصيرورة كطابع أساسي للكون أو على الثبات والديمومة ومن كل هذه التفسيرات نميز منها أربعة مدارس فلسفية:

مدرسة الطبيعيين الأوائل : وقد أنشأها الفريق من الأيونيين الذين كونوا مدرسة باسم (مالطية) و (المدرسة الأيونية) الذي استوقفتهم عدة ظواهر حاولوا تفسيرها واسترجاعها إلى الأصل (المادة الأولى) ويمثل هذه المدرسة (طاليس 624 – 516 ق. م) (أنكسيمندريس 610- 547 ق م) و (أنكسيمنس 588 – 524 ق م) و (هرقليطس 540 – 475 ق م).[2] وهي تجرب نستطيع أن نطلق عليها إسم الفلسفة الطبيعية باعتبار أنها تساؤل عن الطبيعة واصل هذا لكون فقد أدى اهتمام هؤلاء الفلاسفة الطبيعيين بالمادة الأولى التي نشأ عنها الكون أي تفسير الظاهرة الأخرى في الكون هي ظاهرة التغير فقد أرجعها طاليس إلى الماء وأنكسيمانس إلى الهواء، ولكن علينا أن نلاحظ أن الفلاسفة الطبيعيين اليونان الذين تحدثنا عنهم حتى الآن في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد بالرغم من توجههم الوحيد نحو الطبيعة آو لكون للبحث عن الأصل آو الجوهر الذي صدر

[1] – حنا الفاخوري، المرجع السابق، ص 35.

[2] – محمد حسن بخيت ، الفلسفة الغربية القديمة ، المرجع السابق، ص 39.

عنه هذا اعالم والتفسيرات التي تتم على مسرحه ألا أنه لا يمكن أن يصدق عليهم أنهم أصحاب فلسفة مادية روحية فالذين بحثوا منهم أصل الكون في مادة واحدة كانوا ينظرون إلى هذه المادة على أنها المادة الحية (طاليس، أنكسيمانس، هرقلطس).[1] وإذا كان طاليس قد ارتأى إلى أن الماء مبدأ الأشياء جميعا وأن المحيط هو مصدر كل الحياة والماء هو المادية للموجودات وقد أخذوا المؤرخين فيم بعد أن هذه التفسييرات على أنه المذهب الحقيقي لطاليس.

أنكسيمندريس: يعتتبر أنكسيمندريس صديقا معاصرا لطاليس وتلميذه وخليفته وذكر أيضا أن أنكسيمندريس يقول: (بأن اللامتناهي هو العلة المادية والعنصر الأول في وجود الأشياء جميعا) ورفض القول بأن هذه اللامتناهي ماء أو عنصر آخر وهذا اللامتناهي أزلي ودائم وقد موقف أنكسيمندريس تطور طبيعي لفكرة طاليس لقد رأى أن الماء لا يمكن أن يكون مصدرا لجميع الموجودات ولا بد أن تكون العلة الأولى شيئا عاما يقبل التشكيلات المختلفة ، كما يقبل الأضداد لذا يقول: "اللامناهي السابق على العناصر".[2] لذا يعتبر أن اللامتناهي هو المصدر الأول للموجودات ويسبق كل العناصر الطبيعية باعتبار أن هذه المادة لا محدودة ، فهو معين لا ينظب ترجع إليه بواقي الموجات لتعود ثاني وتصبح وموجودات خير ّ ة.

أنيكسمانس: يعتبر أن المبدأ الذي يصدر منه جميع الأشياء بما في ذلك الألهة والموجودات الإلهية هو الهواء والهواء في حركة دائمة لأنه لو كان ساكنا لما حدث تغير ما ، كما قال أيضا بفكرة تعدد العوالم واختلف المؤرخون في تفسير قوله بأن الهواء مبدأ أول.[3]

[1] – يحي هويدي ، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشرو التوزيع ، القاهرة ، 1993م، ص ص 17– 18.

[2] – محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفلسفي ، ج1، دارالنهضة العربية ، بيروت ، د ط ، 1987م، ص 57.

[3] – المرجع نفسه ، ص ص 60 – 63.

المبحث الأول : صيرورة الكون

لقد فسر هرقليطس هذا الكون على انه صيرورة أي ديمومة وتغير وأن هذا الكون هو دائما في تغير، وتفهم نظرية هرقليطس أحيانا على أنها فلسفة تغير الدائم للأشياء بعبارة (كل شيء يجري). إن مذهب الحركة والتغير الشاملين عند هرقليطس لا يعبر عما هو جوهري ولا عما هو خاص،إن كون كل شيء يتحرك ويتغير هو قول أعلنه تقريبا كل الكتاب القدماء.[1] ولم يقل به الفلاسفة فقط فإن هذا لا يعني بالطبع أن التركيز على هذا المظهر من مظاهر الوجود لم يكن من عمل هرقليطس تحديدا فهو قد صاغ مسألة الحركة والتغير في كل الأشياء حتى النهاية وعندما فعل ذلك لم يتوقف عند الإستنتاجات الغريبة الناجمة عن مقدمات الجريان الدائم، وكشفه للطابع النسبي لوجود الأشياء وللحياة نفسها وقد وضع هذا الإستنتاج بشكل تصويري أو تفلسفي كقوله : (أننا ندخل ولا ندخل في نفس الأنهار، ونحن موجودين وغير موجودين).[2]إن المقصود من هذا أنه في العبارة الأولى ينكر دخولنا لنفس الأنهار وفي نفس الوقت في العبارة الثانية يضعنا بين تصورين يلغي الواحد والآخر هو أننا موجودين وغير موجودين هذا يدعونا إلى تصور التغير والحركة .

وقد كتب أرسطو معلقا على هذا القول: (لا أحد في الواقع يستطيع التفكير أن الشيء نفسه يمكن أن يوجد ولا يوجد كما يزعم أحيانا هرقليطس بذلك القول).[3]ومعنى ذلك أن كل تفكير يختلف وهذا ما لمسناه عند هرقليطس أن تفكيره مختلف، وقد لفت هرقليطس الإنتباه إلى الواقع الدافع للحركة والتغير والنشوء وزوال الأشياء والأجيال وتعاقبها، وقد لاقت هذه الفكرة عن التغير والحركة الكونيين عن السيل الجارف للأشياء تعبيرا رائعا عنها في مقاطع هرقلطس ويستخدم ذلك في

[1] – ثيوكاريس كيسديس، هرقليطس (الجذور المادية الديناميكية)، تر: حاتم سلمان، دار الفرابي، بيروت، لينان، ط2، 2001م، ص151.

[2] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – ينظر : أرسطو، ما بعد الطبيعة، باريس ، 1987م، الكتاب الرابع . ص 25.

الموضوع الصورة الإيجابية للنهر ويقول : "إن أولئك الذين ينزلون في الأنهار عينها تغمرهم مياه متجددة باستمرار".[1]

وبالتالي لا يمكن النزول مرتين إلى النهر نفسه، لقد أدرك هرقليطس أن جوهر الحركة والتغير المستمرين من حيث هما الجوهر الأقوى للكائن، فالسيل الشامل هو بالنسبة لهرقليطس عملية نشوء وزوال الأشياء في الآنين معا، إنما يولد ويهلك في اللحظة نفسها، وما هو موجود غير موجود وكل ما يصبه مجرى الزمن موجود ولكن كل هذا عابر وبالتالي فإن الحياة مأخوذة بالزمن ولا تعاش أي لحظة فيها مرتين لأن كل شيء كان قد فات وكل ما سيكون آت، وإذا جاء راح، كل شيء راح، وكل شيء يتغير، وكل شيء يزول ويذهب إلى غير رجعة، ظهور الأشياء وزوالها، الحياة والموت، النشوء والعدم، الوجود واللاوجود، مرتبطة يشترط كل واحد منها الآخر، إن الفكرة الرئيسية عنده هي مبدأ الحركى ومبدأ وحدة الأضداد والتوازن والائتلاف الذي يحكم هذه الحركة وذلك التغيو كل شيء في صيرورة كالأشياء والأجيال تخضع للحركة والصيرورة تظهر وتختفي تتجمع وتتفرق، سيلان دائم يتم فيه تبادل الأضداد.[2]

يتضح أن جوهر الوجود في فلسفته هو الحركة والتغير المتواصلان مثلا: الآن هو غير الآن الزمن يوجد ولا يوجد، اليوم هو البارحة والبارحة كان غدا، لا يمكن أن تعاش اللحظة مرتين إذ ما أخذت من ناحية الزمن كل شيء يجري ويتغير، ويختفي ويمر دون عودة لكن عملية الصيرورة هذه تطور كل شيء يجري ويتغير لا يبقى كما كان هذا يعني أن كل شيء يتجاوز ذاته إلى الأمام والطبيعة تدعو الأشياء لفعل ذلك، جوهر الحياة نشيط والكون يتطور والعالم مجموعة أشياء ذات وجود متحركة.

كل ما يتحرك يعيش وكل ما يعيش يتحرك لأن الراحة والثبات من صفات الأموات لكن الحركة والثبات ضدان يفترض واحدهما الآخر وينفيه بشكل نسبي لا بشكل مطلق فالشيء يثبت في تغيره أي انه في ثباته يتغير، فلو افترضنا أن الحركة تنفي الثبات بشكل مطلق لارتفع تعين الأشياء

[1] – ثيوكاريس كيسديس، هرقليطس (الجذور المادية الديناميكية)، المرجع السابق، ص: 153.

[2] – محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، مكتبة الإسكندرية، ط1، 1999م، ص: 106.

واستحالت معرفتها أو حتى مجرد الكلام عنها فالمثال الذي طرحه هرقليطس هو الدخول إلى النهر باعتبار أن النهر الذي دخلناه المرة الثانية يختلف عن النهر الذي دخلناه المرة الأولى.[1]

إن كل شيء يجري يفهم خارج الزمن وهرقليطس يعطي أهمية للزمن في العملية العامة للحركة والتغير والتعارض وزوال الأشياء هناك سلسلة من الأسئلة التي تجعلنا نتساءل عن هذا السيلان والتغير: فيما يكمن هذا السيل الدائم للزمن ؟

هل هناك نظام أو معنى عقلي في كل شيء يجري؟

إن كل هذه الأسئلة وغيرها شرحها وفسرها هرقليطس من خلال التغير والصيرورة عنده إن العامل المأساوي في تصور العالم عند هرقليطس عالم القدر يتحد بموقف واحد، إن الأفكار الإيجابية التي كونها عن الواقع هي المهيمنة إذا كان كل شيء يجري فلا شيء يبقى في مكانه وهذا يعني أن كل شيء عليه التقدم إلى الأمام إن دينامية الحياة (الكل يجري).[2]

إن طبيعة الأشياء متغيرة برأي هرقليطس والعالم مجوعة من الأشياء داخلة في دوامة الوجود هكذا كان يفهم العالم وقد جعل هرقليطس من الحركة خاصية لكل الأشياء والحركة الأبدية في الأشياء الأبدية وعابرة في الأشياءالعابرة فان كل ما هو موجود يجرفه سيل الحياة القدري ويتجدد و يتحرك و حتى السيسون* يتحلل إذ لم نحركه فمثلا أن الشمس ذاتها ليست فقط جديدة كل يوم تتغير و تتجدد، لقد كانت فلسفة الايلين ترى أن جوهر الكون هو الكينونة الدائمة التي إلى غير ما لا يجوز عليها أن تتحول إلى ما هي عليه، فهو شيء واحد و مطلق غير أن هرقليطس عارضه ووقف من رأيه موقف النقيض فليست الكينونة ثابتة و لا خالدة و ليس الكون دائما على صورة واحدة فكل لحظة تباين اللحظة التي سبقتها كما تخالف التي تليها و هذه الاستحالة

[1] – محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، المرجع السابق ص 107

[2] – ثيوكاريس كيسديس، هرقليطس (الجذور المادية الديناميكية)، المرجع السابق، ص: 154.

*– السيسون : نوع من السمك المقدس في أسرار ايلوزيس، ينظر : ثيوكاريس كيسديس، هرقليطس، ص 54

أو الصيرورة من صورة إلى صورة حقيقة الكون فلا تفتأ الأشياء تنقلب من حال إلى حال دون أن تدوم أو تثبت على حال بعينها لحظة واحدة [1] .

كان هرقليطس متلائما مع روح العلم الأيوني حيث وقف عند الحركة الدائمة و التغير المتصل باعتبار أن هرقليطس لم يشغل كالفلاسفة الأيونيين بالتجارب العلمية إلا أنه انتهى إلى النتيجة المحتومة أي عدم إنكار التغير المحسوس، نجد هنا هرقليطس بالرغم من انه مع العلم الأيوني السابق غير أن نظريته لتغير الحركة يختلف عن الفلاسفة الأيونيين الباقون[2] .

حيث هرقليطس لا ينكر اللوام و الوجود المطلق أو حتى الأشياء النسبية بل هو يعبر أن كل شيء له أجل محتوم، و أن الاشياء تزول و تفنى و يؤتى تغير الأشياء يقول هرقليطس :" أن لا شيء يدوم على حال معينة و أن هذا البقاء الذي ننسبه الأشياء مع اختلاف في الطول و القصر باختلاف الأشياء نفسها خدام من الحواس لا يتفق مع الواقع كما يخيل إلينا [3] .فالخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة الايليون و الفيثاغورين هم أنهم يطالبون الوجود الثابت و الواقع أنه ليس في الوجود شيء ثابت قط، لأن الوجود دائم السيلان و هو في صيرورة مستمرة فلا يوجد أي شيء ثابت لان هرقليطس يقر بإنكار الثبات لأن كل الأشياء تتحول بلا انقطاع، فان الوجود موت يتلاشى و الموت وجود يزول كذلك الخير و الشر يتلاشى و الشر خير يزول... باعتبار أن الخير و الشر و الكون و الفساد أمور تتلازم و تنسجم في النظام العام [4].

[1] – أحمد أمين، زكي نجيب محمود، السلسلة الفلسفية قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2،1935، ص 54

[2] – أحمد أمين الاهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، د س، ص 125

[3] – أحمد أمين، زكي نجيب محمود، السلسلة الفلسفية قصة الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 56

4 – محمد عبد الرحمان مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها الى المرحلة الهيلستنية، مؤسسة عز الدين، بيروت لبنان، ط1، ص ص 104 – 105

فإذا نظرنا إلى الصلة بين القول أن الأشياء دائمة السيلان و بين القول بأن المبدأ الأول هو النار نجد أن هرقليطس وصل إلى هذا الاستنتاج عن طريق الخيال لا عن طريق الاستدلال المنطقي و من هنا فان الصلة بين دوام السيلان و بين النار بوصفها المبدأ الأول الذي يصلح وحده لأنه يعبر عن مذهب التغير لهرقليطس من الناحية التاريخية أول مذهب قال بتغير المطلق و جعل من التغير في الكيف تغيرا مستمرا أساس في هذا الوجود[1] . ومنه فإن حقيقة فهم هرقليطس للطبيعة هو أن التغير والسيلان أو الحركة لا يعبران إلا على الجانب الظاهري من العالم ، إذ أن أول ما يظهر أمامنا في العالم إنما هو ذلك التغير وتلك الحركة الدائمة المستمرة للأشياء فلو أمعنا النظر أن هناك حقيقة واحدة كامنة خلف هذا التغير الظاهر فالحقيقة عند هرقليطس واحدة وإن كانت تبدو في الظاهر كثيرة ومتغيرة.[2]

ومنه نلاحظ أن جوهر الفكر الفلسفي الهرقليطي يقوم على الوحدة بينما التمايز ليس من منظومته سوى التميز الظاهري، فالوحدة هي الأصل وعنها يصل التغير الحاصل في الأشياء بشكل تعاقبي ووفق دورات زمنية.[3]

ولهذا يحتل اللوغوس حيزا هاما فهو المبدأ الذي ينتهي إليه صراع الأضداد وهو المعيار الأدبي الموجود وراء التغير الدائم للظواهر والمقياس لجميع الأشياء [4]، فإننا لا نستطيع أن ندرك هذه الحقيقة الكاملة في كثرة الظاهرة إلى ما وراءها، ولا يكون ذلك إلا بتوقع ما ليس متوقعا كما أننا نجد هنا هرقليطس يقول : " بأن الوجود تأتي عليه دورات زمنية يفنى فيها ثم يبدأ بالوجود من جديد وهكذا باستمرار و هذا مما جعل مذهبه يتسم بالتغير و الاستمرار " [5] فمثلا يوجد العالم أولا و يستمر هذا

---

[1] – عبد الرحمان بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 1، 1996، ص 145

2 – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 139.

3 – الشهرستاني أبو الفتح، الملل والنحل، منشورات دار المعرفة، بيروت، ط1، 1980م، ص 81.

[4] – صالح عبد الحميد، مدخل الى تاريخ، الفلسفة فلسفة القديمة، جامعة دمشق سوريا، د ط، 1968، ص 270

[5] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط1، 1984، ص 539

العالم بالتغير و التطور حتى ينتهي تطورهم إلى حد يفنى فيه الوجود، ثم يأتي من جديد وجود أخر يبدأ من حيث انتهى الوجود الأول و يكرر تمام التكرار الوجود السابق، على الرغم من اختلاف الناس في تفسير مذهب هرقليطس فان هذا التصور متأثر كل التأثر بمذهب الرواقيين* الذين تأثروا بهرقليطس في كل شيء تقريبا حتى و إن بعض الروايات تفصل في هذا المذهب تفصيلا تاما في كل رواية تتكلم عن مذهب هرقليطس، و قد قال هرقليطس بان هناك شيئا اسمه (السنة الكبرى) ** و القول بهذه الأدوار تستخلص مباشرة من القول بالطريقين الصعود و النزول، و قد قال هرقليطس بأن الشمس تفنى كل يوم و تتجدد كل يوم فان هذا من الطبيعي مادام مذهبه يمثل التغير الدائم و مادام يقول بأن الشيء الواحد يتغير تغيرا مستمرا من ناحية الكيف على العكس الذين قالوا أن التغير يكون من ناحية الكم و هذا ما عرض عليه هرقليطس باعتبار أن المبدأ الأول يتغير بالكيف باستمرار و أن التغير و هو تغير استحالة أي تغير الأعراض بعضها إلى بعض باستمرار و هذا يدل على أنه تغير بالكيف سواء في المبدأ أوفي كل ما يتم في الوجود من تغيرات [1] .

فقد نظر هرقليطس و اعتبر الحقيقة الوحيدة الدائمة لذلك، و منه ردد القدماء عبارته التي يذكر فيها أن كل شيء في التغير و لا شيء ثابت حتى النار التي يعتبرها المبدأ أول للموجودات هي المبدأ كل شيء يجري فيها هذا التغير الدائم، و من ثم هي رمز لحقيقة الوجود و يتم هذا التغير حتى يصير إلى ضده و يرى هرقليطس أن هذا التغير الدائم و هذا الصراع القائم بيت الأضداد لحكمة قانون الازلي و ائتلاف خفي هو ما يسميه باللوغوس و بهذا اللوغوس يمكننا أن ندرك هذا التغير الحاصل في العالم و كذلك مبدأ النار و هكذا لا يجري الصراع و التغير بالطريقة العشوائية

* – الرواقيون : أصحاب مذهب الرواقية هم زعماء هذا المذهب قد صدروا عن بلدان تقع في أسيا الصغرى أو في الجزر الشرقية من الارخبيل أو في بلاد موجود بين بلاد الفرس و بين بلاد اليونانية و الرواقية لهم أتباع يونانيون و اخرون رومانيون، ينظر موسوعة عبد الرحمان بدوي، ج 1، ص 539

** – السنة الكبرى : تأتي في دورات معينة تبدأ دورة جديدة مشابهة تماما بالدورة السابقة و يحدث للعالم احتراق كلي، ينظر المرجع نفسه، ص 539

[1] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2، المرجع السابق، ص 540

و لكنها جميعا تكشف عن معقوليته و قانون كوني و ائتلاف خفي[1].

يمتاز هرقليطس بشعوره القوي بالتغير و يقول بوحدة الوجود مثلا الفلاسفة المالطية، فقد طرح هرقليطس هاتين الفكرتين لتستبعدان الشك حتما، فالوحدة الوجود تعني أن شيئا واحدا هو الموجود و أن ما عداه مظاهر و ظواهر، و يتغير يعني أن كل موجود جزئي فهو كذا و ليس كذا في آن واحدة أو هو نقاط تتلاقى عندها الأضداد و تتنازعها فيمتنع وصفه بخصائص دائمة و هذا ما جعلنا نقول ان يكون هرقليطس أتباع من السوفسطائين يذهبون في سبل الشك إلى أقصى حد و لو أنه هو لم يكن يقصد هذه النتيجة أو التوصل إليها غير أنه أراد باللوغوس أن يضع حقيقة مطلقة فوق التغير المحسوس[2]، فهو يرى أن الأفكار عن الصراع و التغير و وحدة الأشياء ليست سوى جزء من صورة واحدة، و أن هذه الأفكار مستقاة جزئيا مما صدفه في رحلته و من خلال ملاحظته للطبيعة باعتبار أن الخصائص الطبيعية تعتمد على الحركة و التغير و يظهر ذلك جليا في الأمثلة التي طرحها هرقليطس على الأرض الواقع كمثال : النهر التي مياهه تتغير و تتجدد كل يوم و هذا ما شبهه هرقليطس بالنفس البشرية أن هذه النفس هي أيضا في تغير و تجدد باستمرار [3].

و النتيجة التي توصل إليها هرقليطس أنه ينسب وهم الثبات إلى الحواس و بالعقل نرتفع إلى معرفة قانون الصيرورة و أن استيعاب هذا القانون يكمن في واجب الإنسان و الطريق الوحيد إلى السعادة أن الإنسان إذا فهم هذا يصبح سعيدا ورضيا مهما حصل تغيرات في هذا العالم غير أن هذا التناغم ضرورية لتكوين هذا العالم [4].

---

[1] – أميرة حلمي مطر، تاريخ الفلسفة اليونانية تاريخها و مشكلاتها، المرجع السابق، ص 69

[2] – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، د ط، د س، ص 32

[3] – أنتوني جوتليب، حلم العقل، تر : محمد طلبة النصار، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، ط1، 2015 ص ص 68 – 69

[4] – وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1950، ص 73

ولقد ترك هيرقليطس الكثير من النصوص التي توضح أن العالم في حالة تغير وسيلان وتدفق ولا مجال للثبات في هذا الوجود، وليس فقط الشيء الواحد يتحول إلى الشيء الآخر، بل أيضا هذا الشيء الواحد لا يستقر لحظة واحد، وإنما هو ينقلب دائما بإستمرار من حال إلى حال، لأن كل شيء يتغير من ضد إلى ضد فلا بد له أن يكون حائزا من قبل على الشيء الآخر لكي يمكن لهذا التغير أن يتم[1].

كما يرى هرقليطس أن الوجود واللاوجود حقيقيان على سواء، فهما صديقان ومتماثلان، فالصيرورة في نظره هي ذاتية الوجود واللاوجود، لأن هذه الأخيرة لها شكلان هما :

قيام الأشياء وإنقظاؤها، بدايتها ونهايتها، إنبعاثها وإنحلالها، فمثلا أن الإنسان يولد هذا الإنبعاث ويموت ذلك إنحلاله، غير أن بين مولده وموته تحدث عدة تغيرات[2].

وهذا ما حاول هراقليطس تاكيده من خلال شذراته في تفسير الطبيعة والتأكيد على أنه لا توجد حقيقة ثابتة في هذه الطبيعة التي أمامنا وكل شئ في حركة دائمة وتغير لا يتوقف، بحيث يعتبر هو أول من أثار قضية التغير وكان ذاك بناء على نظرتيه والعصر الذي عاش فيه من خلال الحروب بحيث يعتبر الحرب كمسرع التغير لان هذا التغير هو الذي يؤسس العالم وذلك من خلال شذرته:"أن الحكمة شئ واحدن إنها معرفة مابه تتحرك جميع الأشياء في جميع الأشياء" [3] ويفهم من ذلك أن كل هذا التغير الأشياء هو حكمة،ويجب أن تكون الذات مدركة لذلك.

المبحث الثاني : النار أصل الأشياء

[1] – عبد الرحمان بدوي، ربيع الفكر اليوناني، الناشروكالة المطبوعات، الكويت، بيروت– لبنان، ط5، 1979، ص ص 138–139.

2 – وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية،المرجع السابق، ص 74.

[3]– WILLAM HARRIS,HERACLITUS(THE CONPLETE FRAGMENTS),TRANSLATION AND COMMENTARYANDTHE GREEK TEXT,P16 (ترجمة خاصة)

فقد ذهب هرقليطس بنظرية أصل العالم و الأشياء هي النار فهو يعتبر أن كل الأشياء تتركب من النار لذا يقول :" هذا العالم لم يصنعه واحد من الآلهة كما لم يصنعه واحد من جنس البشر، لكنه كائن و كان و سوف يكون للأبد نار مشتعلة حية "[1]، و القصد من ذلك أن كل الأشياء في هذا العالم تصدر من النار و إلى النار تعود فهو بذلك يعتبر أن النار هي الوحيدة و تبقى الوحيدة التي تصنع هذا العالم، و كل الأشياء تتبادل مع النار و النار تتبادل مع كل الأشياء بمثل ما يتم تبادل السلع بالذهب و الذهب بالسلع فان السبب الذي دفع بهرقليطس بالقول بهذا المبدأ هو مبدأ فيزيائي مماثل لمبدأ الصيرورة باعتبار أن النار أشد العناصر القابلية للتبادل فهي لا تظل كما هي فهي حالة تغير تأخذ باستمرار المادة على شكل وقود و تعطي مادة على شكل دخان و بخار .

و النار الأولية عند هرقليطس تتحول إلى هواء و الهواء إلى ماء و الماء إلى تراب و النار هنا عنده تأخذ دربين : الدرب الصاعد *، الدرب الهابط ** و كل تحول يحدث بهذا النظام المنتظم ثم تتوحد النار بصفة خاصة مع الحياة و العقل فهي العنصر العقلي في الأشياء و كلما كانت هناك نار كان هناك المزيد من الحياة و المزيد من الحركة، و كلما كانت هناك مواد أكثر كان هناك المزيد من الموت و البرد و لا وجود و منهما فان نفس النار هي من شأن جميع النيرات الأخرى و تحرق نفسها دائما و تحتاج إلى تغذية من مقومات الكون الثلاثة الكبرى و هي : النار، الماء، الأرض و التغير من هنا نعرف كيف يسير هذا العالم بحيث يسير باللوغوس باعتبار أن الإنسان جزء من العالم يحكمه اللوغوس الذي يوجد في روحه باعتباره الجانب الفعال الناري فيها، و هذا الجانب الناري الذي يجب أن يصان من الرطوبة الناشئة عن النوم و الرذيلة، هو الذي يتصل بعنصر اللوغوس في الأشياء

[1] – وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية،المرجع السابق،ص 76

*– الدرب الصاعد : تحول التراب إلى ماء و الماء إلى هواء و الهواء إلى نار، ينظر المصدر نفسه، ص 74

**– الدرب الهابط : يتحول النار إلى هواء و الهواء إلى ماء و الماء إلى تراب، ينظر المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الخارجية، بل أنه يبقى بصورة ما حتى بعد الموت، و هكذا وضع هرقليطس مذهبا متماسكا يبعث على الدهشة و جاء إلى الفلسفة بحافز حقيقي و تفسيره لهذا الكون و العالم[1].

إن النار التي تحدث عنها هرقليطس نسمة حارة حية عاقلة أزلية أبدية تملأ العالم، يعتليها وهن فتصير نارا محسوسة و يتكاثف بعض النار فيصبح بحرا، فيتكاثف بعض البحر فيصير أرضا و ترتفع من العارض و البحر أبخرة رطبة تتراكم سحبا فتلتهب و تنفتح منها البروق و تعود النار و تنطفئ هذه السحب فتكون عاصفة و تعود النار إلى البحر و يرجع الدور فالتغير يرجع في طريقين متعارضين : طريق إلى الأسفل و طريق إلى الأعلى مع بقاء كمية المادة الأولى للنار الواحدة و من تقابل هذاين التيارين يتولد النبات و الحيوان [2] و أن هرقليطس له مذهبه الطبيعي يشبه المذاهب الفلاسفة الملطيين الثلاثة من حيث أنه يقول : " بجوهر واحد و أصل الكون " [3]، فان هرقليطس يختلف تماما عن هؤلاء الفلاسفة في مذهبه الطبيعي فقد استخدم هرقليطس كلمة(**kosmos**)* للدلالة على العالم فقد نظر هرقليطس إلى العالم المنظم كوحدة حقيقية، و في هذا تقدم على الفلاسفة الطبيعيين الثلاث المذكورين الذين لم يرتفعوا إلى تصور عام للكون كله و من هنا إن النار عند هرقليطس ليست فقط أصل العالم بل هي كذلك القانون الذي يحكم كل مظاهره فقد ربط هرقليطس مفهوم النفس ربطا وثيقا بالنار و نظام العالم، فان مذهب النار ليس هو مركز فلسفة هرقليطس بل مركزه هو مجموعة أفكار المتمثلة في : الائتلاف، السيلان، الصراع، التغير المتصل .

فان الإنسان ليست له نفس منفصلة إلا و تكون هذه النفس خاصة و هي مجرد جزء من النفس النارية الشاملة و إذا انقطع هذا التواصل معها يصبح الإنسان لا عقلاني و يموت في النهاية

---

[1] – فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، الموسوعة الفلسفية المختصرة، راجعها : زكي نجيب محفوظ، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 494

[2] – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، د ط، 1936، ص 20

[3] – عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، د ط، 1993، ص ص 43 – 44

* – kosmos: كلمة في اليونانية تتضمن معنى النظام، ينظر المرجع نفسه، ص 45

كما ذهب هرقليطس أيضا إلى هناك دورات منتظمة إلى العالم فالعالم يتكون من النار و بالحريق يرتد ثانية إلى نار البدائية [1]، فان الكون و القانون العقلي الذي يتحكم به بحسب هذه النظرة الواحدة هو عبارة عن نار الأزلية، التي تصدر منها جميع الأشياء و هي تحكم الكون بحسب ناموس عادل، أما طبيعة الكون ذاته هي نارية و تبقى هذه الطبيعة غير ثابتة، فالنار تتحول أولا: إلى ماء البحر، الذي يخالطه التراب ثم تعود إلى أصلها سبيل الدوران و حتى النفس تصدر عن الماء الذي يصدر بدوره عن التراب، و هذا ما يسمى بالتعاقب و الدوران، (فالنار تحيى بموت التراب، و الهواء بموت النار، و الماء بموت الهواء، و التراب بموت الماء) [2]، لأن هذه الطبيعة غير ثابتة باعتبار أن النار هو العنصر الذي تتمثل فيه فكرة التغير الدائم المستمر لأنه رأى أن أصل الأشياء هو النار .

إن معظم الروايات و المنطق ينطقان بصحة رأي أن هرقليطس جعل النار المبدأ الأول للأشياء فان النار هي المتسببة في التغير و السيلان الدائم أما المبادئ الأخرى فلا يتمثل فيها هذا الدوام، فان النار التي وصفها هرقليطس لا يجب أن تفهم بمعنى روحي إنما يجب أن تفهم بمعنى حسي مادي بوصفها هذا العنصر الذي يدركه الحس و هذه النار هي مصدر الأشياء كلها و عنها تصدر الموجودات و يتم هذا الصدور عن طريق التنازع، لأننا قلنا الأشياء تتحول إلى أضداد فالأشياء المتضادة و المتقابلة هي التي ينشأ عنها الوجود و من هنا نلاحظ أن المصدر الوجود هو مصدر النزاع. [3]

فانه من المعروف أن طاليس كان يعتبر الماء أصل الأشياء و اناكسيمانس ظن أن العنصر الأول هو الهواء، ليأتي هرقليطس و يقر بحقيقة إن النار هي أصل الأشياء، ثم يأتي امباذقليس واقترح حلا يوفق بين وجهات النظر كأنه في ذلك من أصحاب السياسة وذلك من خلال أن العناصر الأربعة :

[1] – وولتر ستيس ،تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 74

[2] – ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طالس إلى أفلوطين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 1، 1991، ص ص 36 – 37

[3] – عبد الرحمان بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 3، د ت، ص ص 139 – 140

التراب، الهواء، الماء، والنار أن ميتافزيقا هرقليطس فيها من الدينامكية قدر يقنع اشد المحديثين ميلا إلى الحركة لذا يقول: "أن هذا العالم الذي يستوي عند الجميع لم يخلقه اله ولا إنسان، لكنه كان ولا يزال وسيظل إلى الأبد نارا ما تنطفئ فيها لحياة فتشتعل بمقدار وتخبو بمقدار "[1]، والمفهوم من ذلك أن هذا العالم يقوم بقيام هذه النار وينطفئ بانطفائها أي العدم.

"إن النار تتحول أولا إلى بحر، ثم يتحول نصف البحر إلى تراب ونصفه الثاني إلى ريح "[2] كما اعتبر هرقليطس (اللوغوس) هو ذلك الجانب الذي يخلع على الموضوعات الطبيعية صورها أو وهو النوع من الطابع المشترك ذي بنية شبيهة بالنار إلىحدّ ما، وهكذا كان هرقليطس يرى وحدة العالم في تركيبه وسلوكه أكثر مما يراه في مادته، ومع ذلك فإن النار هي المادة الأولية التي تتحكم في التحولات التي ينتقل به كل مقوم إلى مقوم آخر، زعم هرقيطس أن النار هي العنصر الذي جمع الأشياء ينشأ عنها التكاثف والتخلخل ولكنه لا يفسر شيئا بوضوح لأن جميع الأشياء نشأت في لتضاد وي كلها ي جريان كالنهر والعالم كله واحد نهائي نشأ من النار ويحترق مرة اخرى بنفس الناس من خلال الأزل في دورات معينة، وذلك طبقا لنظام الضرورة ويتكون العالم من الأضداد بطريق الحرب والنزاع، أما احتراق العالم النهائي فيسمى الائتلاف و السلم.[3]

ومن ذلك يتضح لنا انه لم يكن بعيدا في العلم الطبيعي عن الفلاسفة أيونية و قد رأينا أن انكسيمانس رتب العناصر ابتداء من الهواء الذي يتكاثف فيصبح ماء ثم أرضا و يتخلخل فيصبح نارا، أما هرقليطس فقد بدا من النار ولعله اثر القول بالنار لأنها وهي مشتعلة تكون دائمة التغير ولصلتها بالحياة فان جوهر النار يتحول على الدوام إلى دخان و تغذية نار جديدة وإذا نظرنا إلى العالم فهو نار متصلة دائمة التغير وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن هرقليطس قال :بنظرية الاحتراق

[1] – براترند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2010، ص:91.

[2] – المرجع نفسه، ص: 91.

[3] – أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، المرجع السابق، ص 123

العام ولكن هذا الرأي يرجع إلى الرواقين ولا يوافقهم عليه جمهرة المحدثين .[1] على وجه الأرض غير أن النار تخلص شيئا فشيئا مما تحولت إليه فيأتي وقت لا يبقى فيه سوى النار وهذا هو لدور التام فهو يعتبر هذه النار التي اعتبرها نارا محسوسة ونارا إلهية هي مصدر الأشياء هذه النار هي الله فهو يقول : "والله نار وليل، شتاء وصيف، حرب وسلم، وفرة وقلة، يتخذ صورا مختلفة كالنار المعطرة تسمى باسم العطر الذي يفوح منها "[2]والمقصود من هذا القول أن نار هرقليطس اعتبرها عطرا وهذا العطر الذي يفوح منه كل الموجودات، أما النفس الإنسانية فهي بخار حار، ولحرارة الضورية لحي هي قبس من النار الإلهية تدبر الجسم كما تدبر النار العالم، فيجب عليها أن تعلم قانونها وأن تعمل به فلا تتشبث بالجسم والمطالبة، بل تضع ذاتها في التيار العام وتقمع الشهوة لأن الشهوة توكيد للشخصية انتفاض على القانون الطبيعي ومعارضة للتغير والدين الحق مطابقة الفكر الفردي لقانون الكلي (اللوغوس) والفناء هي النار العالمية.[3]

ويتحدث الشهرتاني عن فكرة النار كأصل للكون والفساد مشيرا إلى أن هرقليطس وأباسيس كان من الفيثاغوريين وقد قالا: "أن مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحجر فهو الأرض، وما تحلل من الأرض بالنار صار ماء، وما تخلخل من الماء بالنار صار هواء، وما تخلخلل من الهواء بحرارة النار صار نارا، والنار هي المبدأ وإليه المنتهى، فمنها التكون و اليها الفساد "[4]وهذا ما ادى به إلى استنتاج بواحدية أصل العالم والأشياء إلى مشكلة تفسير ظاهرتي الوحدة و التمايز ،وهذا ما أدى إلى انطلاق من نظرية التغير الدائم على عنصر أساسي هي النار[5]

فقد ربط هرقليطس أيضا ين النار والروح والرب والمباديء التي تحكم العالم هذا لايعني أنه لا يوجد رابط بين هذه العناصر من الوهلة الأولى، فلقد فرق هرقليطس بين نوعين من لنار.

[1] – المرجع نفسه، ص: 124.

[2] – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص: 21.

[3] – المرجع نفسه، ص 21.

[4] – الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، ص 81.

[5] – محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، المرجع السابق، ص 108.

فهناك : النار الإلهية والنار الروحية تختلف عن ذلك اللهب العادي الذي نراه يحرق الأشياء على الموقد،ذلك الهواء المخلخل الساخن الجاف الذي يهبط من الممالك العليا وهي التي اعتبرها المفكرون الأوائل الينبوع الذي خرجت منه جميع الأرواح وقد اعتدنا أن ننظر للنار كآلة للدمار العشوائي.[1] غير أن هرقليطس يعتبرها القوة المنظمة التي تحفظ التوازن بين هذه العناصر فهي التي تنظم هذه العناصر وما ينتج عن تنظيم هذه العناصر هو نشأة الكون والوجود، فإن جوهر الحياة هو جوهر النار يتحول إلى الدوام إلى دخان وتغذية نار جديدة .[2]

فقد ذهب بعض المحدثين إلى القول بأنها نار محسوسة معتمدين في ذلك على شهادة القدماء فهم يعدون هرقليطس في زمرة القائلين بأحد العناصر المادية للكون الطبيعي، لأن هذه النار المحسوسة هي مبدأ مادي من جهة ومن جهة أخرى هي مبدأ روحاني عقلي ميتافيزيقي، لأنه يعتبرها رمزا للتغير المستمر في هذا الوجود، وهي أيضا اللوغوس الإلهي[3].

ومهما تنوعت الكائنات فقد صدرت من أصل واحد وهو النار، ولها مرجع واحد وهو النار فالنار هي الحاكم الأسمى الذي يخضع لحكمة كل شيء[4].

[1] – أنتوني جوتوليب، حلم العقل، المرجع السابق، ص 69.

[2] – أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، المرجع السابق، ص 124.

[3] – أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، المرجع السابق، ص 63.

[4] – محمد عبد الرحمن مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلينستية، مؤسس عز الدين للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ط1، 1993، ص 103.

المبحث الثالث: قانون وحدة الأضداد

قدم هرقليطس نظرية الحركة الشاملة والصيرورة الشاملة ومصدرهما وحدة الأضداد وصراعها ويقول هرقليطس في صيغته الشهيرة: "إن عالمنا المادي وحده هو الذي يوجد وخارجه لا يوجد عالم غيره، وإن العالم لم يخلقه أحد ولكنه كان ولا يزال وسيظل إلى الأبد نارا حية تشتعل وتخبو وفقا لقوانين"[1] ويفهم من هذا أن العالم المادي هو عالمنا لا يوجد عالم غيره وهذا العالم يصدر من النار التي تحكم فيها القوانين، والعالم عند هرقيطس كل وموحد وتوجد أجزاء داخل علاقات متبادلة واعتماد متبادل، ويمر هذا الوجود الموحد بتحول مستمر.

وهناك دائما نوعية تزدوج وتقسم إلى ضدين يتجهان دائما إلى الاتقاء، إن الرأي العام يعتقد بالطبع أنه يقع على شيء ثابت مكتمل ومستمر في حين نرى في الواقع أن النور والظلام، الحرارة والعذوبة، يرتبط كل منهما بالآخر في كل لحظة مصارعين، بالنسبة لهرقلييطس هو في نفس الوقت مر

[1] – ألكسندر ماكوفلسكي، تاريخ علم المنطق، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص 53.

وحلو وكأس يحتوي على مزيج يجب تحريكه باستمرار، إن كل صيرورة تولد من صراع الأضداد، إن الصفات المحددة التي تبدو لنا دائمة لا تعبر إلا على التفوق وهذا لا يوقف الصراع فالصراع يستمر إلى الأبد.[1]

وفي الصيرورةالأبدية للأشياء يسيطر القانون الشامل وحدة الأضداد وصراعها ويعمل هذا القانون في الطبيعة والمجتمع الإنساني فإن الكل يولد من الصراع وتشكل الطبيعة كل شيء فيه ابتداءا من الأضداد، وعلى النقيض من المبدأ الميتافيزيقي للإيلليين القائل أن (الوجود موجود واللاوجود ليس موجودا) وهنا يقدم هرقليطس المبدأ الجدلي القائل بوحدة ى الوجود واللاوجود (نحن نوجد ولا نوجد) وهذا هو مبدأ الصيرورة فالكل يتدفق ولا يوجد شيء دون حركة أو تغير الكل يوجد دون انقطاع في حالة الانتقال إلى الضد : "البارد يصير حارا والحار يصير بارد والرطب يصير جافا والجاف يصير رطب "[2] وقد كان هذا الصاع هو الذي يضع مذهبي المدرسة الإيلية ومدرسة هرقليطس موضع التضاد في اليونان القديمة هو الصراع بين التيارات الميتافيزيقية والجدلية في الفلسفة .

وقد كانت لأرسطو نظرة على الأضداد في قوله: "إن الأضداد يكون بعضها من البعض "[3]

أي الشيء الحائل للأضداد بمعنى الهيولى فقد يكون الأضداد لبعضها البعض ولا يكو ن بعضها لبعض، وهذا يعني أن الاستحالات في الجواهر والبقاء في الهيولى، كما تصير : النار ماء، والماء هواء فإن الحرارة تصير برودة بل تبطل ويلزم الهيولى البرودة والهيولى باقية على حالها، لذا يرى أرسطو أن أضداد الأول هي أوائل الأشياء كلها واقعة تحت الكون والفساد، وانها لم تكن من الأشياء الأخرى

[1] – فريديريك نيشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تقديم ميشال فوكو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ – 1983م، ص 56.

[2] – ألكسندر ماكوفلسكي، تاريخ علم المنطق، المرجع السابق، ص 53.

[3] – عبدالرحمان بدوي، شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى، دار المشرق، بيروت، لبنان، دط، ص48.

وهذا ما دعا إلى قوله : "إن الأضداد لا يكو بعضها من بعض "، "وأن يكون بعضها من البعض "، "قوله إن الأضداد دائمة ".[1]

وهذا ما جعل التناقض في قول أرسطو، وعلى الرغم من ذلك إلا أنه يقول بقانون وحدة الأضداد وهذه الفكرة الشائعة لهرقليطس وتكون فكرته الرئيسية، إن فكرة اتحاد الأضداد أو انسجامها ائتلافها، وهذا الصراع والائتلاف لا يكون فقط بين الأشياء ، بل وكذلك في نفس الشيء الواحد فإن الناس يجهلون الحقيقة الأساسية التي تقول أن الصراع هو أساس الوجود .[2]

ولكن قانون التضاد والصراع كما في الأساطير القديمة والنظم القديمة لا يفضي إلى الدمار والفناء بل إلى التناغم والاتساق الناجم عن شد وتر القوس الذي ينجم عنه نغم الغيتار، وهذا هو سر التضاد الذي لا يختلف عن الوحدة ولا يفهمه فحواه الجاهلون ومع ذلك فإن هذه الوحدة التي يشير إليها هرقليطس لا تخلو من توتر الأضداد التي هي سر ديمومة الصيرورة.[3]

وقد عرضت مشكلة الأضداد على المدرسة الأيونية والفثاغورية وكان لكل منهم رأيه الخاص، فأنكسيمندريس **ANAXIMANDRE**[*] بوجه خاص قال بالمادة اللانهائية تنشأ عنها الأضداد المختلفة: النار والهواء والماء والأرض، وكيفياتها الأربع: الحار والبار والرطب واليابس، ففصل ين المبدأ الأول وبين الأضداد الموجودة في الواقع وذهب فيثاغورس أيضا إلى نظرية التناسب أو الائتلاف العددي سواء في الأشكال أو في الموسيقى، ولكن هرقليطس لا ينكر هذه الأضداد التي تدركها

[1] – المرجع نفسه، ص 49.

[2] – عزت القرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، المرجع السابق، ص 46.

[3] – ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين، المرجع السابق، ص 36.

[*] – أنكسيمندريس:من ملطية إزدهر حو الي 650ق م، وهو من بين الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، وقال أن اللامحدود هو أصل العالم، ينظر: دافيد سانتلانا المذاهب اليونانية في العالم الإسلامي، ص 31.

الحواس لأن طبيعة العالم مركبة من الأضداد ولقد أعطى لنا أمثلة كثيرة عن هذه الأضداد[1] ، على خلاف الأيونيين والفيثاغوريين الذين التمسوا وحدة خارج الكثرة وخارج الأضداد.

بينما هرقليطس يجد الوحدة في الأضداد لنفسها فهي كثيرة وواحدة في آن واحد فالمرض والصحة واحد والواحد يتكون من جميع الأشياء وتخرج جميع الأشياء من الواحد، وهي الوحدة الميكانيكية، أما من الائتلاف **HARMOHIA** غير أن هذا لائتلاف الديناميكي يختلف عن ذلك الإئتلاف الرياضي الذي رأيناه عند فيثاغورس **PYTHAGOROS****، بل هذا الائتلاف يمثله هرقليطس بالقوس والغيتار فبينما الشد والتجاذب والقوس هي علة الحياة فيجهل الناس كيف يكون الشيء متفقا ومختلفا في آن واحدة فالظاهر لنا هو هذه الكثرة وهذه الأضداد أما الحقيقة فهي واحدة غير أنها خفية لا تدرك بالحواس، وقد ذكر أفلاطون **PLATON** أن هرقليطس إلى جانب مذهبه في التغير المتصل ينشد إلى الوحدة. [2]

فقد قال في محاورة السفسطائي ما يلي : "لكن هناك فيلسوف أيوني في عصر متأخر وفيلسوف صقلي ووحد بين الكثرة والوحدة وأن لحقيقة تشملها معا وأن الحب والبغض يحفظهما "وللإشارة إلى الفيلسوف الأيوني هو هرقليطس والصقلي هو أنباذوقليس* **ENPEDOCLES** فقد عرف أفلاطون أن هرقليطس ذهب إلى أن الحقيقة واحدة وكثيرة في نفس الوقت فقد أجمع القدماء على أن هذه الطبيعة المادية، ترجع إلى النار التي يعدها المادة الأولى كمما أجمع عليها الطبيعيين الأوائل غير أنهم عجزوا عن تفسير اختلاف الأشياء وتضادها فمثلا قال أنكسيمندريس بالظلم وقال هرقليطس : أن

[1] – أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، المرجع السابق، ص 36.

** – فيثاغورس : ولد في ساموس هو فيلسوف يوناني إزدهر حوالي 430 ق م، كان رياضيا بارعا ولقد برهن على أن قوة الأصوات تابعة لطول الموجات الصوتية، ينظر: دافيد سانتلانا، المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، ص22.

[2] – أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، المرجع السابق، ص 121.

* - أنباذوقليس: من أكراجاس بصقلية ازدهر حوالي 450 ق م، ولقد زعم أنة عملتي الصيرورة والفناء ظاهرتي إنما تحدثان نتيجة الإمتزاج وانفصال جذور وجدت منذ الأزل، "النار، الماء، التراب، الهواء "، ينظر : دافيد سانتلانا، المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، ص22.

هذا الاختلاف هو نهاية العدل**DIKE** ، ولولا وجود هذه الأضداد لما عرف الإنسان أسم العدل لذا يجب أن نعرف الحرب عامة لكل شيء وأن تنازع عدل وأن جميع الأشياء تكون وتفسد بالتنازع ولا يقف مبدأ وحدة الأضداد على الطبيعة بل على الإنسان وأعماله وحياته كذلك فهو يلعب بذلك دورا أهما من ذلك الذي يطبق في الطبيعة.[1]

وقد أشار هرقليطس في أهم المواضيع التي عالجها إلى مسألة التضادأو ائتلاف الأضداد أي كيف تتماثل هذه الأضداد وقد طرح العديد من الأمثلة لهذه الفكرة:

1- إن الطريقين الصاعد والهابط ليس سوى طريق واحدة.

2- إن الحي والميت والنائم واليقظ والصغير والكبير كلها أشكال لشيء واحد.

3- إن المرض هو الذي يجعل الصحة أمرا جميلا فيها من الخير الكثير والجوع هو ما يسبب التخمة والتعب يمهد طريقا للراحة .

4- إن البحر هو أكثر منابع الماء نقاءا وأكثرها تلوثا.

وهذه الأمثلة الأربعة التي طرحها هرقليطس تجسد الوحدة بين الأشياء المتضادة ظاهريا لدى هرقليطس، فالمثال الأول أن لطريق المؤدية إلى الأعلى هي نفسها الطرق المؤدية إلى الأسفل كالمدخل الذي يخرج منه الإنسان، أما في المثال الثاني أن من على قيد الحياة ليس ميتا بالطبع والفتاة الصغيرة ليست فتاة كبيرة في الوقت ذاته، وكذلك أن الإنسان النائم ليس يقظ ومن هنا تفهم نظرية هرقليطس بتدوير الكون من خلال هذه الأضداه كأن النائم لابد وأن يستيقظ والحي لابد أن يموت، فإن هذه الأضداد تنتهي إلى الشيء ذاته[2] ولا يتوقف الأمر عند هرقليطس أن الوجود متماثل مع اللاوجود بل أن كل شيء في الكون يحمل في داخله عكسه وكل شيء موجود هو التناغم من التوترات المتقابلة وأن هذا التناغم يحتوي بالضرورة مبدـين متعارضين إلا انهما يكشفان عن وحدة ضمنية وهذه

[1] – أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 122.

[2] – أنوني جوتليب، حلم العقل، المرجع السابق، ص 71.

تعاليم هرقليطس أن كل شيء في الوجود أو الكون يكونن وفق هذا المبدأ فكل الأشياء تحتوي أضدادها داخلها خلال هذا الصراع والتطاحن تقوم حياة الأشياء ووجودها وكيانها[1] فإن هذا الصراع الذي يسميه هرقليطس الصراع المخصب الذي هو في الوقت نفسه تناغم لا بمعنى التناسب العددي البسيط لدى الفيثاغوريين**THE PYTHAGOREAN*** بل بمعنى الإئتلاف بين قوى الفعل كل منها فالاتجاه المتعاكس في الفعل الآخر على هذا النحو : النهار والليل، الشتاء والصيف، الحياة والموت، التناغم والتنافر، فإن كل هذه في الأضداد باعتبار أن هذه الأضداد تصدق عن الأضداد المتزامنة التي تتحدد في المكان والأضداد المتعاقبة التي تتحدد في الزمان.[2] فإن الكون للآلاف من النقائض المتطابقة المتناسقة حتى ولو تنازعت النقائص، فليس تنازعها الظاهر في الحقيقة إلا أساس حياتها وإن يوما ما يمحى فيه ما بين الأشياء من نزاع واختلاف هو اليوم الذي تنتهي فيه الحياة ويسود الموت.[3]

الأضداد جواهر الأشياء وهي في وحدة بنيوية ويحدد بعضها الآخر، هذه الوحدة البنيوية هي نتاج انسجم الأضداد وتوازنها فإن هذا الإنسجام يسمح لنا يتعيين الأشياء ومعرفتها، إلا أنه انسجام نسبي عابر فإن الصراع هو القانون الحتمي الذي يحكم الكون وكل الوجود فهو لم يدخل الحياة والعالم من الخارج بل ينبثق من الحياة نفسها، فالانسجام والصراع ماهية وحدة الأضداد، وعن طريق تفسير مبدأ التغير الدائم في حركة الأشياء كانتقال الشيء ذاته من الحرارة إلى البرودة[4] فإن ضرورة التبادل بين الأضداد تحدث عن طريقين: طريق إلى الأعلى و طريق إلى الأسفل وقال هرقليطس : "أن الشيء في تغيره يظل في سكون "[5] أي أن الشيء مهما تغير غير أنه يبقى في معناه وفي طابعه،

---

[1] – وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 37.

[*] – الفيثاغوريين هم أعلام المدرسة الفيثاغورية نسبة إلى زعيمهم فيثاغورس، ينظر : أحمد فؤاد الأهواني، المدارس الفلسفية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، دط، ص 14.

[2] – اميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ج1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1973م، ص84.

[3] – أحمد أمين زكي نجيب محفوظ، قصة الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 56.

[4] – محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، المرجع السابق، ص 105.

[5] – فريديريك نيشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تقديم ميشال فوكو، المرجع السابق، ص105.

يتحدث هرقليطس عن الائتلاف الخفي خير من الائتلاف الواضح فإن من الحكمة أن ندرك أن كل الأشياء واحد وكل شيء في تحول مستمر من حالة إلى ضدها فالشيء الواحد يتضمن في ذاته الأضدادو الصراع يبقى قانون العالم ،و التنازع أبو الأشياء وكل ما يتفرق

و يتحطم ليلتم من جديد ويتحكم هذا القانون حتى في القدر والحكمة والبقاء حتى ولو هناك تغيرا دائما إلى ان هذا التغير يتم حسب قوانين ثابتة[1] .

فقد كفر هرقليطس لسابقيه من الحكماء عن تقديرهم لهذه الحقيقة فهذه الحقيقة موجودة في الواقع فان الشيء الواحد إلا وله ضدان يكونان في نفس الشيء الواحد فقد سلط هرقليطس الضوء على جميع الأمثلة، مثلا على العلاقات القائمة بين الشباب والشيخوخة، الصحة والمرض طرق الصعود والنزول وغيرها من ذلك ذو أهمية بالغة فان هرقليطس كان مولعا بفكرة العلاقة بين الأضداد مما حد إلى القول في النهاية :"إن كل الأشياء شيء واحد "[2] حتى وإن كان هرقيطسس مناقضا لنفسه فهو يرى من جانب التغير الدائم والصراع من جهة أخرى ولكن يبقى هذا الصراع وجها لعملة واحدة كالليل والنهار .

وهذا ما جعل هرقليطس من المؤمنين بأن الجوهر الظاهر للعالم الطبيعي هو التغير الذي يكشف عن وجود الأضداد، فإن معظم الشراح والمؤرخين له يتفقوا عند قوله بالتغير بين الأضداد وبين قوله وحدة الأضداد، لذا إعتبر هيجل وبيجرأن وحدة هرقليطس وحدة منطقية، وذلك من خلال النظر إلى شذارته التي يقول فيها:

[1] – محمد علي أبو ريان، تايرخ الفكر الفلسفي في الفلسفة اليونانية ،ج1 ،ص 86

[2] – أنتوني جوتليب، حلم العقل، المرجع السابق، ص ص 81– 82.

1- الإئتلاف الخفي أفضل من الظاهر

2- الضد هو الخير لنا

3- الله والنهار والليل والشتاء والصيف

4- جميع الأشياء بالنسبة إلى الإله جميلةوحق وعدل، ولكن الناس يعدون بعض الأشياء ظلم وبعضها الآخر عدل[1].

ومن هنا يوضح لنا هرقليطس أن هذه الشذرات هي التي تستدعي الإنسان إلى فهم الطبيعة رغم التغير المستمر للأشياء، فلو أمعنا النظر لإكتشفنا حقيقة واحد كاملة خلف هذا التغير، فإنه رغم هذه الأضداد الحاصلة في ظاهر هذا الوجود إلا أنها في حقيقة الأمر واحدة[2].

وبالتالي يمكن القول أن هذه الأضداد ليست سوى النقائض تنسجم في وحدة متناغمة حتى ولو تنازعت هذه النقائض فإنها ليست في الحقيقة سوى أساس الحياة، وإن يوما ما يذهب هذا النزاع والإختلاف لإنتهت الحياة ويسود الموت[3].

[1] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج1، المرجع السابق، ص 139.

[2] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق، ص 140.

[3] – أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، المرجع سابق، ص 59.

المبحث الأول : مقاربة بين هيراقليطس وبارمنيدس

الثبات أصلاً للوجود بارمنديس Parménide:

ولد بارمنديس في إيليا حوالي القرن الخامس قبل الميلاد (514ق/م) وهو أول فيلسوف ميتافيزيقي وجد في بلاد اليونان، أول الفلاسفة الحقيقيين للمدرسة الآيلية أو المذهي الإيلي وتتلمذ بحسب أقدم الروايات على يد أكسنوفان، وخصوصإذا لاحظنا أنّه قصّر بحثه على فكرة الوجود ونظر إل الوجود بحسبانه شيئاً مجرداً وليس هو الطبيعة نفسها [1]، وقد قيل أنّه تتلمذ على يد أحد الفيثاغوريين يدعى أمينياس Ameinias الذي اشتهر بأنّه كان من وجهاء قومهرغم فقره وقد كرمه بارمنديس وبنى له قبراً بعد وفاته نظراً لأنّ أميناس هو صاحب الفضل عليه أكثر من أكسنوفان*الذي تتلمذ على يدّه لفترة قصيرة، لما كان له دوراً مهما في سياسة مدينتهوقد شرّع قانوناً لمدينة إيلياوقد اتخّذ برمنيدس الأسلوب الشعري للتعبير عن فلسفته [2].

ألّف بارمنيدس كتاباً في الطبيعوقسّمه إلى قسمين : الأول : في الحقيقة أي الفلسفة الثاني: في الظن أي (العلم الطبيعي) ذلك أنّه رأى المعرفة الانسانية نوعان معرفة يقينية ثابتة غير متغيرة وأخرى ظنية متغيرة،فحقيقة الأول في أنّ الوجود موجود ولا يمكن عدمه، واللاوجود غير موجود لا يمكن وجوده ، فالموجود عنده شيء واحد وهو الوجود المطلق، وثابت لا يتغير فإنّه لا يوجد خارج هذا الوجود شيء يتحرك أو يستكمل به، وبذلك يكون بارمنديس أنكر الحركة والكثرة على عكس

[1] – عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة 03، دت، ص 120.

*–اكسنوفان: ولد في مدينة كولوفون بإحدى المدن اليونانية حوالي عام (570ق/م)وكان أول من اتخّذ الشعر آداة التعبير عن أفكاره الفلسفية، المرجع نفسه، ص 170.

[2] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 187.

هيرقليطس واعبرها وهماً وظناً أتى عن طريق الحس، وهنا تظهر الحجج التي جاء بها برمنيدس ليبطل هذه الحركة والصيرورة على خلاف هيراقليطس [1] .

1-الثبات أصلاً للوجود :

انحصر الوجود عند فلاسفة اليونان الأوائل في نطاق العالم المادي، لذلك كان السؤال عن ماهية هذا الوجود وأصل هذا العالم، وقد كان لهؤلاء الفلاسفة الطبيعيين الأوائل نظريتهم حول هذا العالم، وبالرغم من هذا التهافت في الآراء إلاّ أننا نعتقد أنّ بداية التفكير الفلسفي الأصيل كان عند برمنيدس حين ردّ الوجود إلى وحدة ثابتة ونظر إلى الوجود بنظرت مطلقة وثابتة واعتبره وحدة ثابتة[2].

فإنّ أكثر الفلسفات انسجاماً مع التطور الفلسفي كانت نظرية برمنيدس في وحدة الوجود يتميز الموجود بالصفات التالية : الثبات، عدم التغير، الكلية، عدم الحركة، وعدم خضوعه للزمان الوحدة، الاستمرارية . ومن هنا كانت مقولة برمنيدس (الوجود موجود، واللاموجود غير موجود)

وهذا دليل أنّ الوجود موجود و يبقى موجود، وغير الموجود ليس موجود، ولا يمكن أن يكون موجود لعدمه،لأنّ الوجود في نظر برمنيدس ثابت وغير خاضغ للتغير، ولذلك لا يوجد وجود مختلف عن الوجود الذي يضفي عليه الحركة،فإنّ التغير الدائم الذي تبرزه التجربة اليومية في نظر برمنيدس هو خداع الإدراك الحسي والمعرفة العقلية، لذلك يجب إعتبار الظاهر ساقطا ومن هنا التمييز بين الإدراك الحسي والمعرفة العقلية، لأنّ المعرفة الحقّة هي معرفة الوجود الواحد غير القابل للتحول أو التغير أو الفناء،لذا فإنّ "إنّ الوجود والفكر هما و احد" [3].

وقد رأى برمنيدس أنّه بهذه الطريقة أن يحتفظ في الوجود بكل صفاته ويجعله خالياً من العدم، ولهذا فإنّ الوجود الحقيقي هو الوجود الثابت فحسب، وإنّ الوجود لا يمكن أن يصدر عن اللاوجود

[1] – محمد حسن بخيت، الفلسفة الغربية القديمة، المرجع السابق، ص ص 46، 47.

[2] – د–محمد توفيق الضو ى، دراسات في الميتافيزيقا، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، دط، دت، ص 66.

[3] – أكسل فايس، أطلس الفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، ط01 ، 2013م، ص 33.

ولا يصدر شيء من العدم، فمن العدم لا يصدر إلاّ العدم، هذه هي الفكرة الأساسية عند برمنيدس [1].

وإنّ طريقي الاستطلاع الوحيدتين اللّتين يمكن إدراكهما هما :

1-الطريق الأول : طريق الوجود (Estin) الذي يستحيل أن لا يوجد، وهي طريق الاقناع التي تتولى طريق الحقيقة .

2-الطريق الثاني : هي طريق العدم (Ont-estin) وهي الطريق التي لا يمكن التفكير فيها لأنّك لا تستطيع قط معرفة ما لا يوجد "فذلك ممتنع"، فإذا كان الوجود هو واحد مطلق، لا يمكن أن يكون هناك تعدد [2]،فإنّ الوجود هنا من صفاته التباين وهذا الثبات لكي نطلقه على الوجود يكون عن طريق التفكير الصحيح فإنّ كل ما يتصوره الناس عن العالم، وكل ما يظنونه ويرونه ويشعرون به ما هو إلاّ مجرد وهم خالص، فالعقل هو الوحيد الذي نستطيع به الوصول إلى حقيقة هذا الوجود [3]، فقدكأّد هذا الوجود تأكيداً مطلقاً وقال : ((أنّه ملئ كل شيء وليس في العالم المادي إلاّ الوجود فهو كل، واحد ، متصل، أزلي، كامل)) [4]؛ ونفهم من هذا أنّ برمنيدس أراد أن يوضح لنا أنّ هذا الوجود يتّصف بكامل الصفات التي تدل على أنّه ثابت، وساكن وأزلي غير قابل للتغير أو التجديد، ولكماله وهو ساكن سكون تاماً فلا يجوز أن يتغير او يصير إلى ما هو أفضل أو أسوأ، وكذلك هو الموضوع الوحيد الذي يدركه العقلولا يدرك شيئاً خارجاً عنه ومغايراً له كالتغير أو الصيرورة والعدم والفراغ الذي نادى بها هيراقليطس .

[1] – عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني ، المرجع السابق، ص 122.

[2] – المرجع نفسه، ص 123.

[3] – محمد فتح عبد الله ، د–علاء عبد المقال، دراست في فلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، دط، دت، ص 127.

[4] – د–محمد ثابت الأفندي، مع الفيلسوف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1974م، ص 97.

ويقول بارمنديس ((أنّ الوجود والحقيقة صنوان لا ينفصلان،وأنّ ما يوجد وما يدرك لا يختلفان قط حيث يقابل ذلك التقرير نقيضه الذي يرادف فيه اللاوجود، واللادراك والجهل وتقوم فلسفته الميتافيزيقية عل أنّ الوجود واحد غير متحول قط لا ينقسم لا بداية له ولا نهاية" وكل متكثر خاضع للتحول في بدايته، ونهاية نقيض لهذا الوجود الكروي مليء لا أول له ولا آخر))[1].

فإذا فحصنا هذه النتيجة ثمّ لم يكن بوسعنا إلاّ القول بأنّ هذا الوجود واحد وثابت ولا نهاية له وهو عبارة عن وجود الكل أي العالم أو الكون بأسره الذي اعتبره برمنيدسكروياً أزلياً وساكناً فهو يستخدم حجج عقلية صرفة للإثبات هذا الوجود وتأكيد على نتائجه .

وقد أخذ بارمنديس **طريق الحق** لإثبات هذا الوجود،باعتبار أنّ الوجود موجود، وهذا هو طريق اليقين لأنّه يتبع الحق،ونتحدث فيه هو أنّ الوجود موجود ويوجد في هذا الطريق علامات كثيرة تدل على أنّ هذ الوجود لا يكون ولا يفسد لأنّه واحد متّصل لا يتحرك لا نهاية[2]له وأنّه

لم ولن يكون له نهاية لأنّه يعتبر فيأنّ واحد متصل لا يمكن التفرقة لأن التفرقة والتعدد من صفات التغير الدائم وهذا ما تحدث عنه هيراقليطس من نظريته الصيرورة الذي ينادي به برمنيدس عالم التعدد والحركة عالم الكثرة والتغير، عالم الحواس هو العالم غير الحقيقي، فلو كان التعدد غير حقيقي لكان الوجود عبارة عن وحدة مطلقة [3] .

فقد اعتبر برمنيدسأنّ المبدأ الأول للأشياء هو الوجود غير المختلط تماماً بلا وجود،وهو خال كلية من كل صيرورة، وطابع الوجود يصفه دائماً بسلسلة من الصفات ما سبق ذكرها كما أنّه يرى بأنّ هذا الوجود ليس له ماض ولا حاضر ولا مستقبل، لأنّه بالأخص حاضر خالد بلا زمان وثابت بلا تغير، وهو غير منقسم ولا يقبل الانقسام بحد ذاته،لأنّه متحرك ولا يتغير لأنّ صفة الحركة والتغير

[1] – ماجد فخري، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى افلوطين، المرجع السابق، ص ص : 39، 40.

[2] – إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى ميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط01، أكتوبر 2005م، ص 95.

[3] – المرجع نفسه، ص 97.

شكلان من الصيرورة، وكل صيرورة فهي مستبعدة من الوجود في نظر برمنيدس باعتبار أنّ هذا الوجود متماثل مع نفسه، وهو لا ينشأ من أي شيء آخر غير نفسه لأن هذا الوجود كله في ذاته، ولا يعتمد على أي شيء آخر لإثبات ذاته أو تحقيق وجوده بل يضمّ قابعاً في ذاته، لأنّ صفته الوحيدة هو " يكون" أي الكينونة أي الحاضر في ذلك الوقت[1] .

والمعروف عن برمنيدس أنّه طغى على أسلوبه أسلوب الشعر، فقد كان برمنيدس في أغلب الأحيان يعبر عن فلسفته بالشعر، وقدر روى برمنيدس سيرة من صنع خياله عرض فيها تجربته صاغ تفاصيلها بدقة ويذكر في هذه الرواية الشعرية أنّه قابل الآلهة، وصارحهم كبحثه عن الحق، فأرشدته هذه الآلهة إلى العقل وبهذا المغزى يقول برمنيدس على لسان الآلهة ((أنظر بعقلك نظراً مستقيماً إلى الأشياء فإن بدت لك بعيد هي كالقريبة ،ولن تستطيع أن تقطع بما هو موجود فالأشياء لا تفرق نفسها وتجتمع، فكل شيء واحد من حيث بدء، لأني سوف أعود إلى المكان نفسه))[2]،

ويبدو من هذا الحوار الذي دار بين برمنيدس والآلهة أنّ ثمة طريقة ما لتحصيل المعرفة ولتحديد ماهية الوجود، وقد قسم هذه إلى قسمين : القسم الأول :طريق اليقين، القسم الثاني : طريق الظن وأعطى الآلهة دور الارشاد الذي يشير إلى ضرورة سلوك الطريق الأول والابتعاد عن الثاني وهذا ما حاول أن يوصله لنا برمنيدس أنّ اللفظ والفكر يحلان معاً صفة الوجود لأنّ اللاوجود عدم بحت .

فلقد نفى برمنيدس كل ما قاله باسم التفكير المنطقي وأنّ هذا التفكير المنطقي هو الذي يلغي طريق الظن على عكس هيراقليطس الذي اعتبره مبدأ لمعرفة هذا الوجود على عكسه هو وتكمن جدّة فكرة برمنيدس في هذا المنهج العقلي والنقدي الذي كان بمثابة نقطة الانطلاق لكل جدلية فلسفية في بلاد الإغريق،وهذه كانت انطلاقة تفسير هذا الوجود لأنّ ليس شيء موجوداً ولا سوف يكون موجود خلا الوجود " مثله مثل الكتلة الكرة المستديرة المتساوية الأبعاد عن المركز " ونفهم من هذا

[1] – وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 49.

[2] – محمد الخطيب، الفكر الاغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط01، 1999م، ص 111.

المثل بأنّ الكرة لا نهاية ولا بداية لها، لأنّه أكمل الأشياء وهذا هو الوجود الذي يتحدث عنه برمنيدس بحيث يؤسس برمنيدس معرفة فلسفية حول الوجود قائمة إلى أربعة أسس :

1-أنّ العالم واحد في الأصل والظواهر المتعددة لاتصال وحدته .

2-أنّه ثابت وحركة التغير لا تطال جوهره .

3-أنّ العالم أزلي وقديم غير محدث .

4-أنّه لا يخضع للفساد والتبدل [1] .

إذن الوجود مطلق غير متعدد إلى شيء ولا يضاف إليه شيء في كلا الاضافتين تناقض يتتبع الثبات والوحدة معاً ....وأما سائر الأشياء التي تدون هذا الوجود فوهم وخيال [2] .

إن في الحقيقة وبالنظر إلى تاريخ الفلسفة اليونانية يتأكد لنا أنّ هناك جانبان عند برمنديس هي المادية والمثالية،فقد يكون مثالي من خلال أنّ الفكر هو الوجود،وأنّ للوجود فكر لذا فالوجود ليس هنا وهناك، وهو لا يجب أن يقوم على الحواس و برمنيدس بهذا يكون مثالي زيادة على ذلك فقد فرق بوضوح بين الحس والعقل، فالوجود الحق هو الذي يعرف بالعقل فهذه التفرقة صفة جوهرية في كل مثالية في حين أنّ المادية تقول أنّ الحقيقة موجودة في عالم الحس وهذا ما جعل برمنيدس مختلف كل الاختلاف فقد كان عكس هذا التيار لأنّها موجودة في العقل[3].

[1] – محمد خطيب، الفكر الاغريقي، المرجع السابق، ص 113.

[2] – فخري ماجد، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 38.

[3] – عبد الرحمن بدوي، ربيع فكر اليوناني، مرجع سابق، ص 132.

فقد كانت عبارات برمنيدس مشهورة هو التداول عن هذا الوجود والموجود ؟ وإن كان هذا الموجود مثالي أو مادي ؟ وهذا الوجود ثابت أو متعدد ومتغير مثل ما جاء به هراقليطس ؟ وهل تعتبر العقل والحواس مرجعان في البحث عن هذا الوجود ؟ [1] .

ولهذا فقد كان تصور برمنيدس الوجود الكامل غير منقسم كرة مادية كتصور الفيثاغوريين للعدد ممتداً ،ولهذا فإنّ ميزة برمنيدس هو أنه فيلسوف الوجود المحض تجاوز عالم الأعداد والأشكال والحق أن يدعوه أفلاطون " بارمنديس الكبير " [2].

وبهذا نرى أنّ برمنيدس من خلال نظريته للوجود يريد أن يخالف تماماً الآراء الآيونية حول هذا العالم وطبيعته المادية المتناقضة وخاصةهراقليطس باعتبار أنّ مذهبه مذهب التعدد والحركة والتغير فإنّ كل ما زعمه هرقليطس يقتبسه من التجربة الحسية المباشرة التي تكشف عنة حركة الأشياء وصيرورتها فإنّ هذا المذهب قائل : " بتولد الأشياء المادة وصيرورتها وانفصالها واجتماعها بالتناوب "[3]

والمقصود منهأنّ كل الأشياء تتولد من خلال الحركة وانفصال وتغير هذه المادة وهذا ما ينفيه برمنيدسنفياً مطلقاً باسم التفكير العقلي الواضح والمنطقي، لذا يجعل برمنيدس الطبيعة كلا

واحد ساكناً غير متغير على الرغم مما يبدو لنا فيه من الكثرة والتغير [4]، والمقصود بهذا الوجود هو الوجود المعقول الذي سيكون موضوع دفاع زينون* تلميذ برمنيدس والقائل بحجج ضد الفكرة والحركة .

[1] – أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة المصرية العامة للكاتب، القاهرة، دط، ص 142.

[2] – يوسف كرم، تاريخ فلسفة يونانية، مرجع سابق، ص 46.

[3] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج01، المرجع السابق، ص 192.

[4] – محمد بومانة، زروقي الدراجي، مذكور مليكة، مبادئ الفلسفة العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة فيفري 1436هـ /2015م، ص 187.

إنّ برمنيدس قد أدرك مثله مثل هيراقليطس وجود الحركة والصيرورة في الكون،غير أنّ برمنيدس لم يتوقف عند هذا الحد بل بقي يبحث عن ماهية هذه الصيرورة وما حقيقتها فزعم اتفاقه مع هيراقليطس في الاقرار بوجود صيرورة غير أنّه لم يتقبل فكرة تداخل وتكامل الوجود واللاوجود فإنّ العقل حسب برمنيدس لا يمكن أن يقبل ذلك لأنّ " أ " يساوي " أ " ومنه فالوجود هو موجود وهذه النتيجة التي جاء بها برمنيدس تعارض بشدّة مبادئ الفلسفة الهيراقليطية التي تقول ((نحن موجودون وغير موجودون في نفس الوقت))[1]، وهنا يضع هيراقليطس يضع الوجود واللاوجود موجودان في نفس اللحظة على عكس برمنيدس .

لذا يعتبر برمنيدس من أكبر خصوم التغير، لأنّه يحتقر الأعراض التي يسميها الحس باعتباره مؤسس عالم الحقيقة لأنّ هدف برمنيدس هو بلوغ الحقيقة فقط [2] .

وهكذا نرى أنّ الفلسفة اليونانية منذ أول نشأتها، تتخذ لها اتجاهين متقابلين، تمثل الفلسفة الآيونية وخاصة فلسفة هيراقليطس أحدها، والاتجاه الثاني برمنيدس وزينون الاتجاه الثاني [3].

وبذلك تكون علاقة برمنيدس بهيراقليطس أثارت جدلاً بحيث كانت علاقة جدلية من خلال دحض برمنيدس نظرية هيراقليطس [4].

2-التغير الهيراقليطي :

*-زينون: (490-484ق/م)كان من تلاميذ برمنيدس، وكان من أحد ناشطين في سياسة مدينته، كما أطلق عليه مخترع فن الجدل، ينظر : مصطفى نشار، تاريخ الفلسفة، ص 200.

[1] -عبد الكريم عنيات، نيتشه والاغريق، اشكالية أصل الفلسفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط، م، ص 80.

[2] - عبد الكريم عنيات، نيتشه والاغريق،المرجع نفسه، ص 85.

[3] -حنا الفاخوري الجّر، تاريخ الفلسفة العربية، ج01، المرجع السابق، ص 53.

[4] - عبد الكريم عنيات، نيتشه والاغريق، المرجع السابق، ص 79.

باعتبار أنّ برمنيدس نادى بالثبات والوحدة المطلقة فإنّ هيراقليطس كانت نظرته مغايرة لهذا الوجود لذا اعتبره هو صيرورة وسيلان دائم لا وجود للثبات والوحدة،فموقفه كان مغايراً تماماً للنظرية السائدة في المدرسة الآيلية،فعنده أنّ الصيرورة والتغير الدائمين من أوليات نظامه، ولهذا النظامين تخضع الأشياء جميعاً [1]، فقد كان هيراقليطس أيضاً استعمال العقل للوصول إلى هذا الوجود، وكان اعتقاده أيضاً على الحواس، وهذه الفكرة ظهرت بشكل واضح في مفهوم هيراقليطس عن اللّوغوس [2].

وهو بمثابة النظام في صيرورة التحول، ولا مجال للتعرف عليه إلاّ بالحكمة لذا تعتبر نظريته في اللوغوس معياراً حجراً أساساً في نظرية الحق الطبيعي،[3] باعتبار أنّ هيراقليطس أقرّ بأنّ أصل هذا الوجود هو النّار لأنّه رأى أنّ الأشياء كثيرة التغير ودائمة السيلان على عكس برمنيدس لذا اعتبر من الوجود وحدة مطلقة .

فإذا كان مذهب الإيلين قد قال بالوجود الثابت كما قال بالوحدة فإنّ هيراقليطس يعرض هذا الرأي تماماً بقوله : ((التغير الدائم بدل الثبات)) أي الكثرة المطلقة بدلاً من الوحدة المطلقة التي نادى بها برمنيدس في نظر هيراقليطس أنّ الخطأ الأكبر عند الناس أنّهم يطالبون بالوجود الثابت فحين أنّ الواقع ليس فيه شيء ثابت، فإنّ كل شيء في تغير مستمر وبما أنّه في تغير مستمر فهذا دليل على أنّ أي شيء لا يبقى على ثباته،ليس فقط أنّ الشيء الواحد يتحول إلى شيء آخر،بل أنّ هذا الشيء لا يستقر على حال واحدة أو لحظة واحدة بل إنّه ينقلب ويتحول من حال إلى حال وأنّ هذا الوجود لا يثبت بصفة واحدة، وهذا دعاه إلى القول بقانون وحدة الأضداد، أي كل شيء له ضده وهذا دليل على أنّ الشيء يتحول من صفة إلى أخرى لأنّه في دوامة فإنّ هيراقليطس يعتبر هذه

[1] – أكسل فايس، أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص 33.

[2] – محمد جبر، الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان، الخبير للتصميم الطباعي، دمشق، ط01، 1994م، ص 38.

[3] – أكسل فايس، أطلس الفلسفة ،المرجع السابق، ص 33.

الوحدة في الفناء ، وهذا المبدأ مرفوض ومبدأ التغير والسيلان هو الذي يحبب أن يهيمن على جميع الأشياء [1].

وقد وصفوا هيراقليطس بالفيلسوف دقيق الملاحظة شديد الاحساس بالتغير، وانقضاء الأشياء من حوله،فهو الذي أكّد على التغير والصيرورة والحركة بصفة مطلقة،ورأى أنّ هذا التغير هو الذي يشير إلى عدم أو الفراغ، وهذا ما جعله يؤكد الحركة والتغير،ويؤكد أيضاً العدم والفراغ، وكانت هذه فكرته من بداية الوجود من جهة والحركة والتغير من جهة أخرى [2] .

ولذا يبقى الوجود عند هيراقليطس غير قابل للانفصال عن هذه الحركة المتواصلة، والمرء لا يستريح إلاّ إذا تغير و الزمن أيضاً يلعب دوراً هاماً في هذا التغير بحيث أنّ الزمن هو يغير مواضع الأشياء ،إنّ الكسمولوجية الآيونية، وبالأخص التي ذكرها هراقليطيس من تولد الأشياء وصيرورتها لن تنهض ثانية في نظر برمنيدسلأنّ برمنيدس نفى كل هذا باسم التفكير المنطقي[3] .

المبحث الثاني : تأثير فلسفة هيراقليطس على الفلسفة اللاّحقة

1- في الفلسفة اليونانية :

من المعروف أنّ هيرقليطس لم يترك مدرسة فلسفية تتبع مذهبه كما أنّه لم ينتم إلى مدرسة بعينها ومع ذلك فقد كان له أثراً عظيماً في تاريخ الفلسفة، وتطور الفكر الفلسفي في الفلسفة

[1] – عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مرجع سابق، ص 139، 140.

[2] – أفندي محمد ثابت، مع الفيلسوف، مرجع سابق، ص 95.

[3] – أميل برهية، تاريخ الفلسفة، ج01، مرجع سابق، ص 72.

اليونانية تأثيراً كبيراً حيث تأثر به حكماء القرن الخامس خاصة السوفسطائيين[1]، كما تأثر به أيضاً أنبادوقليس بحيث تميزت فلسفته بالانتقائية في طابعها العام، بحيث كانت مزيجاً من مذاهب انكمندريس وهراقليطيس وفيثاغورس، فقد أخذ من فلسفة هراقليطيس قوله بالتغير والصيرورة، فهو المبدأ الأساسي الذي تقوم به عليه فلسفة أنبادوقليس فإنّ كل التغيرات التي تحدث في الطبيعة إنمّا تنشأ عن امتزاج هذه العناصر الطبيعية [2]، أما الرواقية هي من أهم وأشهر فلسفات العصر الهلينستي بحيث كان واضحاً تأثيرهم بفلسفة هيرقليطس فقد أخذوا معظم مبادئ فلسفتها الطبيعية منه، فالرواقيون قد قالوا بنظريتهم الحسيّة في المعرفة وذلك من خلال اعتمادهم على نظرتهم للوجود،فإنّ الرواقيون بنظراتهم للوجود الجسماني أو المادي قد تأثر بالمذاهب الطبيعية السابقة ،وفي هذا الصدد فقد أخذوا الشيء الكثير عنة هيراقليطس، وجعلوا نظريته المادية في الأساس لما يذهبون إليه من خلال مادية الوجود باعتبار أنّ مدرسة هيراقليطيس قد فنيت منذ زمن بعيد ويعتب الرواقيون قد عنو بذكر كذهب هيراقليطيس بعد آمنوا من قبل المادية، وإرجاع نظريته المادية إلى المعرفة من خلال إرجاع الحس لإدراك كل معرفة وحاولوا بعد هذا أن يحيوا المذاهب القديمة فهم يعتبرون أنّ المادة في الأصل لذلك قاموا باستشهاد المذاهب الطبيعيين القدماء [3].

كما كان له أيضاً تأثير على بعض الفلسفات الدينية في مدرسة الاسكندرية خاصة فيلون، وتكمن خلال تأثر به في نظريته اللّوغوس،وقد كان تأثيره واضحاً [4].

وكان لها تأثير كبير في تفكير فيلون من حيث نظرية اللوّغوس باعتبار أنّ هذه الفكرة ظهرت وتطورت في الفلسفة اليونانية ولعبت دوراً مهماً في فلسفة الرواقيون باعتبارها العلّة المشتركة لجميع الأشياء نجد أيضاً أنّ فكرة اللوّغوس عند هراقليطيس على أنهّا القانون الذي تجري على أساسه

[1] - مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية "من منظور شرقي " مرجع سابق، ص 145.

[2] – محمد بو مانة ،الدراجي الزروخي، مليكة مذكور، مونيس بخضرة، عبد الرحمن خرشي، مبادئ الفلسفة العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة فيفري 1436هـ / 2015م، ص 194.

[3] – عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة 05، 1970م، ص 240

[4] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 145.

أنواع التغير المتضاد في الوجود ولهذا اعتبرها فيلون أنّ الكلمة "اللّوغوس " أصبحت معقولة بوصفها المبدأ الحافظ للأشياء، فهو يشاهد هذا اللّوغوس في كتاباتها المقدّس لهذا يرى أنّ اللوغوس هو مبدأ الفصل بين الأشياء المتضادة في الكون، وهذا الانفصال في الواقع منشأ المخلوقات

وقد تأثر فيلون بهذه النظرية من خلال اللّوغوس يمكن الفصل بين القوّة الخالقة والموجودات المخلوقة فعلى الرغم من تأثره بنظرية هرقليطيس غير أنّه يخالفه في ذلك باللوغوس في نهاية الأمر عند هيراقليطيس يجمع بين المتناقضين غير أنّ هذا لا يوجد عند فيلون [1].

كما كان لفلسفة هيراقليطيس تأثير عل فلسفة أفلاطون بحيث يقارن بعض الباحثين بين هيراقليطس وأفلاطون باعتبار أنّ الإثنين كانا في طابع الجدلي، فحين كان هيراقليطيس كان مادياً وأفلاطون كان مثالياً ، وقد استخدم أفلاطون الفكرة الهيراقليطية " كل شيء يجري" لإدانة الأشياء المادية [2]. فهو قد استخدم العالم المحسوس وكل نظريات أفلاطون كانت من خلال العالم المحسوس فهو يعتبر هذا العالم هو عالم التغير والكثرة، وكان متأثرا في هذا بفلسفة التغير بهيراقليطيس لذا نجد هيراقليطيس قد ميّز بين عالمين : عالم المثل الذي هو عالم الصور والحقائق الثابتة، وعالم المحسوس الذي هو عالم الكثرة والتغير،وهو يعتبر أنّ هذا العالم الحسي قد شارك العالم المثالي في وجوده [3].

وقد استخدم أفلاطون مذهب هيرقليطيس وخصومه في فلسفة الآيليين لدعم نظريته المثالية بحيث اعتبر أنّ عالم الأشياء المتحركة عند هراقليطيس عالم ما هو زائل و وهمي لأنّ العالم المثالي عند افلاطون يعكس العالم المادي بحيث (أنّ كل شيء يجري) " .

[1] – عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، المرجع السابق، ص ص : 99، 100.

[2] – ثيو كاريس كيسديس، هيراقليطيس، تر: حاتم سليمان، دار الفرابي، بيروت ، لبنان، ط02، 2001م، ص 243.

[3] – محمد بومانة، زروخي، مليكة مذكور، مبادئ الفلسفة العامة، المرجع السابق، ص ص : 184، 185.

كما كان تأثير هيراقليطس تأثيراً شيداً وواضحاً (السوفسطائيين) قد استخدموا هؤلاء أفكار هيراقليطيس ليدعم مذهبهم أو موضوعهم القائل (إنّ الانسان مقياس كل شيء) [1] " بروتاغوراس"

فهم يعتبرون أنّ الانسان الوحيد هو الذي تصدر منه كل المعارف حتىّ وان لم تكن نسبية ونفعية وفردية فقد ارتبطت السفسطة من حيث هي ذاتية فردية بالجدلية التي كانت عند الآيليين، لذا يعتب المذهب السوفسطائي بروتاغوراس تعبيراً عن استنتاجات متطرفة من مقدمات أفكار هيراقليطيس، فباعتبارهم أنّه لا يوجد شيء محدود وصحيح،لأنّ كل شيء في دوامة وبهذا الشكل تكون معارفنا نسبية وتكونسواء أراء وهذا ما يدعوا إلى أنّ أي رأي سيكون صحيحاً وكاذباً في نفس الوقت، وهذا ما يدعوا إلى التناقض أو الأضداد كما ادعى هراقليطيس .

كما كان لهيراقليطيس تأثير على كبير على أرسطو فجدلية أرسطو وأفكاره عن التطور انت مرتبطة بشكل وثيق بجدلية الأفيزي " هيراقليطيس " [2]، فقد كان لأرسطو رأي في مسألة الوجود حيث تناولت مؤلفاته اشكالية الوجود وهذا ما جعله ينقد الفلاسفة السابقين أو يتأثر بهم حتىّ في بعض المسائل، و هذا ما وجدناه عند أرسطو من خلال نظريته الوجود عنده أنّ هذا الوجود لا يمكن أ، يكون ثابت وواحد لأنّ ثمّ أشياء كثيرة ومتغيرة موجودة في الخارج لا يمكن أن يقال عنها أنهّا واحدة بل هناك أشياء تختلف في الكم والكيف لا يمكن القول عنها أنهّا واحدة وهذا ما جعل التعد والتغير [3].

2– الفلسفة الحديثة :

إنّ في العصر الحديث قد أخذت أمية هيراقليطيس تتنامىبحيث كانت لفلسفته أثراً واضحاً في هذا العصر وخاصة فلاسفته فقد أعلوا مفكروا وفلاسفة هذا العصر أهمية كبيرة لفلسفة هرقليطيس

[1] – ثيو كاريس كيسيدس، هيراقليطيس، المرجع السابق، ص 244.

[2] – المرجع نفسه، ص 246.

[3] - محمد بومانة، مذكور ملكية، مباددئ الفلسفة العامة، المرجع السابق، ص 186.

خاصة دعاة المنطق الديداكتيكي كهيجل وماركس على دراسة فلسفته بحيث يعتبرونه جدهم الشرعي لفلسفة التغير وخاصة قانون الأضداد ما يؤكد قضية التناقض[1].

فإنّ مختلف الأبحاث في العالم تقر بأنّ بعض المفاهيم الأولية التي استخدمتها الفلاسفة في هذا العصر كانت مأخوذة من مذهب هيرقليطي، ولا تزال هذه الهيراقليطية موضوع العديد من الأبحاث[2].

فلقد كان أول كارل ماركس* وفريدريك انجلز اهتماماً كبيراً للتراث الثقافي أو بالأخص التراث اليوناني بحيث يقول ماركس:" سيبقى اليونانيون أساتذتنا إلى الأبد " [4]، لذا تبقى الفلسفة اليونانية هي المنبع أو الأصل للتفكير الفلسفي .

وكان انجلز يرى في فلسفة هراقليطيس أحد الأشكال الأولى لمفهوم الجدلي والمادي من خلال تعليقه على فكرة الجريان والتغير الدائمين وخاصة فكرة وحدة الأضداد، وقد كان هيراقليطيس هو أول الفلاسفة التي صاغ بالشكل الصحيح واعتبر أنهّا لها دور كبير في تطور الفكر النظري، وهذا ما فسره هيلج بحيث فسّر جدلية هرقليطيس وفكرته " كل شيء يجري " بمعنى الصيرورة وهي دائمة تعني في جدلية هيجل في الانتقال من الوجود المحض إلى اللاوجود المحضوإنّ هذه الصيرورة في عملية التطور مما تدعوا إلى نقيض الشيء لأنّ كل ظاهرة في تطورها تنتقل إلى نقيضها[5].

---

[1] – مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، المرجع السابق، ص 146.

[2] – ثيو كاريس كيسديس، هيراقليطيس، المرجع السابق، ص 248.

* – كارل ماركس : (1883/1818 يعد ثاني طفل من ضمن ثمانية أطفال كانوا يهوداً ثم اعتنقوا البروتستانية، ناقش رسالة دكتوراه حول موضوع الفرق بين فلسفة ديموقرطيس وأبيقور، ينظر : أعلام الفلسفة الغربية الحديثة، ص 214).

[4] ثيو كاريس كيسديس، هيراقليطيس ، المرجع سابق، ص 249.

[5] – ثيو كاريس كسيديس، هيراقليطيس ،المرجع السابق، ص 250

فقد اعتبر هيجل الجدل بمثابة القانون الذي هو أساس طبيعة الفكر من خلال أنّ كل قضية إلاّ ولها نقيضها، ويبرز الجدل تناقضاً مثل : النهائي واللانهائي باعتبارها لحظات تحول أو صيرورة [1].

بحيث تصف فلسفة هيجل الصيرورة التي انغمس فيها الروح في شكل الطبيعة بحيث تعتبر أنّ الحركة في المعرفة إنّ فكرة أنّ حركة الروح أو العقل إنّما هي نتيجة لصراع الأضداد الذي يتولد عليه " الأطروحة، نقيض الأطروحة فإنّ تجاوز هذه الأضداد هي التي بدورها تؤدي أطروحة إلى ظهور نقيضها [2] .

باعتبار أنّ هيجل فيلسوف يؤمن بالتناقض بالصيرورة والتغير لا بالذاتية والثبات والسكون فهو يرى أنّ فكرة تحوي في ذاتها نقيضها الخاص مما يجعلها تتحول إلى فكرة أخرى وهكذا يتحقق التقدم الجدلي في نظره،لأنّ الحقيقة تتوجب علينا الاعتراف باتحاد الأضداد وانسجامها، فكل ثبات يتضمن نفي وكل نفياً يتضمن اثبات باعتبار أنّ الطبيعة وجه من أوجه تطور الفكرة [3] .

لذا نجد أنّ هيغل كان يقصد بالمنهج الديلكتيكي في محاضرات في تاريخ الفلسفة بأنّ الفلسفة النظرية أو المنطق سماها الوائل بالديالكتيك،لذا نجد أنّ هيجل يقرر أنّ الإيليين و هرقليطيس عرفوا الديلكتيك وأعطو أمثلة عنه غير أنهّم حصروه في ميدان المحسوسات فبالرغم من تأثر هيجل بهراقليطيس في منطق الديالكتيك من خلال القضية ونقيضها [4].

إضافة إلى المذهب التجريبي باعتبار أنّ هذا المذهب في صورة أولية هو المذهب الحسي وتوجد ارهاصات الآولية لهذا المذهب في آراء هراقليطيس الذي كان يعتمد على المعطيات الحسية من خلال

[1] – أكسل فايس، أطلس الفلسفة، تر: كنوزة المكتبة الشرقية، لبنان، الطبعة الأولى، 1991م، ص 143.

[2] – عبد القادر تومي، أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة 1 1432هـ /2011م، ص 196.

[3] – علي حسين الجابري، الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، دار مجدولاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 1498هـ /2007م،ص ص : 178، 182.

[4] – عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 343.

"أنّ كل شيء يتحول، ولا شيء يبقى على حالة واحدة "[1]،وهذا ما يدعو إلى صيرورة بحيث أنّ كل شيء متحول ومتغير وهذا ما ينتج على أنّ الاحساس تابع لبنية الحواس ويتغير بتغيرها بحيث يعتبر المنهج الديلكتيكي منهجاً قديماً في فلسفته وأساسه وفرضياته وحديثاً في اكتمال وإتمام صياغته وبنائه، فقد ظهرت نظرية الديلكتيك قديماً وتطور تطوراً جديداً على يد الفلاسفة المحدثين والمعاصرين وخاصة هيجل الذي يعتبر من أهم المتأثرين به، فقد بلور هذه النظرية وصاغها صياغة علمية شاملة وكاملة،بحيث أنّ هيجل هو الذي اكتشف أهم القوانين والقواعد الأساسية التي يتضمنها المنهج الديالكتيكي،فقد أكد هيجل حقيقة أنّ كل الأشياء والظواهر والعمليات هي في حالة تغير وحركة وتطور ارتقائي مستمر ومتدرج،وأنّ المنهج العلمي الصحيح لدراسة وتقييم الظواهر والأشياء هو الديلكتيكي الذي يعدّ قانون تفسير التطور، إضافة إلى ذلك فقد تطور المؤرخ ومؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون المنهج الجدلي في التعامل مع النصوص التاريخية لتمحيصها وتجريدها من الأساطير [2].

[1] – محمد بومانة، زروخي الدراجي، مذكور مليكة، مونيس بوخضرة، مبادئ الفلسفة العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة فيفري 1436هـ / 2015م، ص 180.

[2] – سلسة دروس القانونية منهاجية البحث العلمي، قرين صناعة الحياة، سيد مروان، ميلة، الجزائر، 2008م، ص 40.

المبحث الثالث: أهم الإنتقادات التي وجهت لهرقليطس.

إن كل فيلسوف إلغا وتعرض للنقد على مذهبه وأفكاره الفلسفية، سواءا كان هذا النقد إيجابيا أو سلبيا، وهذا ما تعرض له هرقليطس من مختلف الإنتقادات حول نظريته للوجود، بحيث أعطى نيتشه لكل فيلسوف من الفلاسفة الأوائل إنتقادا وصولا بذلك إلى هرقليطس، بحيث يعتبر هذا الأخير في نظره من أهم فلاسفة المدرسة الأيونية وإعطائه مكانة مميزة، فإن هرقليطس إهتم بتبرير الصيرورة، وهنا يوافق نيتشه هرقليطس موافقة الكاملة في الفلسفة الإثباتية الوحيدية للصيرورة وذلك من خلال تحديد نيتشه لنظريات هيرقليطس:

أولا: في الفلسفة الإثباتية لأنها تأكيد على الوجود وليس إنكار الشيء من الأشياء.

ثانيا: هي فلسفة تمارس عملية الوضع على عالم واحد فقط

ثالثا: إن هذا الإثبات موجه لعالم يتميز بالحركة والتغير[1].

فقد إنتقل نتشه للبحث عن أصل فكرة الصيرورة لأن هذه الفكرة إستقاها هرقليطس من الواقع الإغريقي من خلال الصراع والحروب، فإن مشاهدة هرقليطس لهذه الحروب هي التي جعلته يقول أن الصراع والنزاع هو جوهر الوجود، لذا يقول نيتشه: (إن تصور الصيرورة لا يمكن لغير هرقليطس أن يتوصل إليه[2])، فإن هذا الإكتشاف الهرقليطي لحقيقة الوجود كونه صيرورة وصراع، جعلت نيتشه يرفع هذا الحكيم الأفزي، فإذا كان أفلاطون يشعر بالرهبة والوقار تجاه برمنيدس، فإن نيتشه كان يشعر بنفس الشعور تجاه هرقليطس، إذ يقول: (أستثني إسم هرقليطس مع كامل الإحترام والواجب له، وسيظل أبدا على صواب)

ومن هنا فإن نيتشة معجبا بفلفسة هرقليطس على خلاف الفلاسفة اليونانيين وتفضيل فلسفته على الفلسفات السابقة سواءا في الأزمنة القديمة أو الحديثة وحتى المعاصرة، بإعتبار أن الصيرورة تعتبر في تاريخ الفلسفة من بين الفلسفات الأكثر شمولية وهذا ما جعل دارسي فلسفة نيتشة يعلنون أن أصل فلسفته ومنبتها هو هرقليطس[3].

وهكذا كان رأي نيشة في فلسفة هرقليطس غير أن هناك من يخالف هذا القول وينقده على ذلك، وعلى الرغم من أن هرقليطس أيوني إلا أنه لا يتصف بالنظرة العلمية مثل التي تميز أهل ملطية، بل كان صوفيا بحيث إعتبر أن النار هي العنصر الرئيسي وكل شيء مثل لهب النار وأن العالم وحده يعتبر وحدة مؤلفة من إجتماع الأضداد لكن الكثرة أقل واقية من الواحد الذي هو الله.

كما كان يعتبر هذا الاخير أنه لم يكن ذا شخصية محببة فقد كان الإزدراء لغيره وكانت ميوله تناقض الميول الديمقراطية، وقد إنتهى به إزدراؤه على الناس جميعا، إلى الظن بأن القوة وحدها هي التي

[1] – عبد الكريم عنيات، نيتشه الإغريق،المرجع السابق، ص 72.

[2] – المرجع نفسه، ص 77.

[3] – عبد الكريم عنيات، نيتشة والإغريق، المرجع السابق، ص 78.

تستطيع أن ترغمهم على العمل الصالح[1]، إظافة إلى ذلك فقد تم دحظ نظرية الجدل الدياليكتيك لهرقليطس على الرغم من تأثر فلاسفة اليونان وفلاسفة العصر الحديث أمثال هيجل بهذه النظرية، على إعتبار أن نظرية الدياليكتيك ظهرت قديما عند الإغريق على يد الفيلسوف هرقليطس الذي صاغ هذه النظرية وقد تعرضت إلى عدة إنتقادات فقد إعتبر زينون الإلي أن هذا الجدل يشير إلى صفحة سلبية بحيث يقع الفيلسوف في التناقض وهذا التناقض لا يمكن أن يكون في هذا الوجود حتى إن كان هرقليطس إستعمل الجدل الذي أراد أن يوضح بها صراع الأضداد، ومادام يوجد الأضداد فإن هذا العالم في تغير وحركة غير أن هذا الجدل الذي جاء به لم يكن كافيا لدراسة العلوم أو تطبيقه على مختلف العلوم، لذا فقد تطور الدياليكتيك[2] على يد الفيلسوف هيجل الذي بلور وجسد هذه النظرية وصاغها صياغة جديدة كمنج علمي لدراسة وتحليل الأشياء والحقائق والظواهر، إظافة إلى البواعث التي أدت بأرسطو إلى وضع نظرية في الحركة هو موقف هرقليطس من الحركة وإعتبارها مبدأ من العالم المحسوس، أما أرسطو فقد رأى في القول بالتغير المستمر والدائم نفيا للصور الثابتة، وهذا ما يعد نفيا لموضوع العلم بإعتبار أن الصورة هي الموضوع الحقيقي للعلم، فإذا كانت متغيرة دائما لا تستطيع أن تكون موضوعا لأي إدراك، وقد أشار في ذلك أرسطو إلى موقف هرقليطس الذي دفع أفلاطون إلى التسليم بوجود عالم آخر، وهذا ماجعل أرسطو يرفض هذا الوجود، ومنه ليس هناك أي أساس بالقول بالتغير المستمر للصور الجوهرية، وذلك أن المشاهد في

[1] – براترند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 87.

[2] – سلسلة الدروس القانونية منهجية البحث العلمي، فرين صناعة الحياة، سيدي مروان، ميلة– الجزائر، دط، 2008، ص 40.

الواقع تبقى كما هي[1]، وبذلك لا يمكن القول بأن الصور الجوهرية في تغير مستمر، وقد إنتهى أرسطو إلى رفض هذا الموقف رفضا مطلقا وإعتبر الجواهر الأزلية ثابتة لا تقبل أي نوع من التغير أو الحركة[2]، حتى وإن كانت تركيبة الأجسام على هذا النحو تجعلها متفقة من حيث الطبيعة والبنية، فهي تختلف من حيث العرض وهذا ما لاحظه أرسطو عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل الذين يرجعون أصل الأشياء إلى عنصر واحد كالهواء أو التراب أو النار وفي الواقع نرى أشياءا متمايزة تمايزا جوهريا لهذا فقد إستبعد أرسطو آراء الطبيعين الأوائل القائلين بعنصر واحد مبدأ للتفسي الطبيعي إضافة إلى ذلك أن الفلاسفة الطبيعيين الأوائل يطلق عليهم إسم مذهب المادة الحية ومن بينهم هرقليطس[3].

فهم يرو أن هذه المادة مكتفية بنفسها لا تحتاج إلى خالق يخلقها، غير أن أرسطو يفند هذا الرأي ويعتبر أن المادة مبدأ أساسي لكل حقيقة واقعة بجانب الصورة، وهذا كل شيء يتشكل من مادة وصورة معا ليس مادة وحدها.

كما أنبادوقليس أن القول بمادة واحدة لنشأة الموجودات لا يمكن أن يفسر إختلافها وتمايزها، ولا يمكن رد الأشياء إلى مادة واحدة، فإن هذا الوجود ليس متكون من النار فقط بل يجب إتحاد هذه العناصر الأربعة لتكوين هذا الوجود[4] .

[1] – محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، أرسطووالمدارس المتأخرة، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط،دت، ص 112.

[2] – المرجع نفسه، ص 113.

[3] – محمود حمدي زقزوق، تمهيد للفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1119، ص 173.

[4] – محمد بومانة، زروخي الدراجي، مذكور مليكة، مونيس بخضرة، خرشي عبد الرحمن، مبادئ الفلسفة العامة، المرجع السابق، ص 195.

وفي الأخير يمكن القول أن مسالة الوجود هي من أهم المسائل التي عالجها الفكر اليوناني بحثنا عن هذا الوجود وماهيته باعتبار أن هذا المصطلح في حد ذاته من أكثر المصطلحات التي اختلف حولها الفلاسفة وحول تغيير هذا الوجود حيث عمل الفلاسفة الطبيعيين الأوائل على تغيير هذا الوجود وبحث عن أصل هذا العالم بعد أن كان هذا الوجود في مرحلة ما قبل الفلسفة اليونانية يمتاز بطابع الميثولوجيا والغالب عليه طابع الأسطورة تأتي الحضارة اليونانية وتنتشله من هذا الطابع تعطيه بعدا عقليا وهذا ما لمسناه عند االفلاسفة الأوائل بحيث كل فيلسوف إلا و له نظرية طبيعية.

وصولا بذلك إلى هرقليطس الذي كانت نظرته تتسم بالصيرورة فقد كان يعتبر هذا العالم في تغير مستمر الذي يقوم على صراع الأضداد، إذ يرى أن الوجود دائم التغير والتحول والصيرورة، فكل شيء في تغير إضافة إلى ذلك أن هذا العالم مبدأ النار لم يخلقه إله ولا بشر، فالنار هي التي تحمي الماء والهواء وهذه النار تكون مقدسة وقد استلهم هرقليطس فكرة النار من خلال الحروب التي كانت سائدة في ذلك العصر وهذا ما جعل هرقليطس بنظرته الخاصة يرى أن التغير هو القانون الوحيد لهذا الوجود، ولولا التغير لم يكن شئ لأن الاستقرار والثبات موت وعدم والتغير هو الذي يؤدي إلى صراع وهذه الصفة المميزة في وجود هرقليطس أن لاشئ يبقى على حالة واحدة، بل ينتقل من حالة إلى حالة.

ولهذا نجد أن فلسفة هرقليطس تعارض الفلسفة الإيلية التي كانت تنادي بالثبات المطلق مخالفين بذلك التفسير الهرقليطي أنه لامجال لتغير لانه يوجد أشياء في الوجود غير قابلة لتغير و التحول وهذا مالمسناه في فلسفة بارمنديس التي تدعو إلى الثبات والإستقرار، فالرغم من الإنتقادات التي وجهت إلى فلسفة هرقليطس التي كانت لها صدى كبير على الفلسفات اللاحقة سواء في الفلسفة اليونانية أو الحديثة فهناك من فلسفات لذين كانت منطلقاتهم الفلسفية أساسها فلسفة هرقليطس وهذا ما شاهدناه عند السفسطائين بحيث كانت فلسفتهم أساسها مذهب التغير والصيرورة عند هرقليطس وهذا ما جعل مقولة بروتاجوراس "الإنسان مقياس الأشياء جميعا" عمادها تغير هرقليطس،كما هو الحال في الفلسفة الحديثة من خلال تطور نظرية الديالكتيك لذا يعتبر هرقليطس

الخاتمة:

ل من جاء بهذه النظرية من خلال صراع الأضداد التي تؤدي إلى التناقض وقد جعل هذا المنهج من أهم المناهج الحالية لدراسة الظواهر، وبالتالي يعتبر هرقليطس من اهم الفلاسفة الذي ترك له اثر في الفكر الفلسفي.

المراجع:

1. أ، و، ف، توملين، فلاسفة الشرق، تر:عبدالحميد سليم، راجعه علي أدهم، دار المعارف، كورنيش القاهرة، ط2، 1119م.
2. أحمد أمين، زكي نجيب محمود، السلسلة الفلسفية قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1935،2.
3. أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة المصرية الهعامة للكاتب، القاهرة، دط.
4. أكسل فايس، أطلس الفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان، ط01، ط07، ط15، ط03، 2013م.
5. ألكسندر ماكوفلسكي، تاريخ علم المنطق، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
6. إمام عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2005م.
7. أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها مشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة، 1998م.
8. أنتوني جوتليب، حلم العقل، تر :محمد طلبة النصار، مؤسسة الهنداو ي للتعليم و الثقافة، القاهرة، ط1.
9. إيميل برهييه، تاريخ الفلسفة، ج1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1973م.
10. براترند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود، مراجعة أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2010.
11. ثيوكاريس كيسديس، هرقليطس (الجذور المادية الدياليكتيكية)، تر: حاتم سلمان، دار الفرابي، بيروت، لينان، ط2، 2001م.

12. جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم بداية التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1431هـ- 2001م.

13. حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل، بيروت، ط3، 1993م.

14. دافيد سانتلانا، المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، دط، دت.

15. سلسة دروس القانونية منهاجية البحث العلمي، قرين صناعة الحياة، سيد مروان، ميلة، الجزائر، 2008م .

16. شهرستاني أبو الفتح، الملل والنحل، منشورات دار المعرفة، بيروت، ط1، 1980م.

17. عبد الرحمان بدوي، خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5، 1970م.

18. عبد الرحمان بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1996م.

19. عبد الفتاح إمام، مدخل إلى ميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط01، أكتوبر 2005م.

20. عبد القادر تومي، أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1432هـ /2011م.

21. عبد الكريم عنيات، نيتشه والاغريق، اشكالية أصل الفلسفة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط، م.

22. عبدالرحمان بدوي، شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى، دار المشرق، بيروت، لبنان، دط.

23. عزت قرني، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطن، جامعة الكويت، دط، 1993م.

24. علي حسين الجابري، الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، دار مجدولاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1498هـ /2007م.

25. فريديريك نيشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تقديم ميشال فوكو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ - 1983م.

26. فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، الموسوعة الفلسفية المختصرة، راجعها : زكي نجيب محفوظ، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

27. ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1991م.

28. محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، مكتبة الإسكندرية، ط1، 1999م.

29. محمد بومانة، الدراجي، الزروخي، مليكة مذكور، مونيس بخضرة، عبد الرحمن خرشي، مبادئ الفلسفة العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة فيفري 1436هـ 2015م.

30. محمد توفيق الضوي، دراسات في الميتافيزيقا، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، دط، دت.

31. محمد ثابت الأفندي، مع الفيلسوف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 1974م.

32. محمد جبر، الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان، الخبير للتصميم الطباعي، دمشق، ط01، 1994م.

33. محمد حسن بخيت، الفلسفة الغربية القديمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، شارع الجامعة، ط1، م2012.

34. محمد حسن مهدي بخيت، الفلسفة الغربية القديمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.

35. محمد عبد الرحمان مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها الى المرحلة الهيلستنية، مؤسسة عز الدين، بيروت لبنان، ط1.

36. محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، أرسطو والمدارس المتأخرة، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، دت.

37. محمد علي أبو ريان، تاريخ الفلسفي، ج1، دارالنهضة العربية، بيروت، د ط، 1987م.

38. محمد فتحي عبد الله ، د-علاء عبد المقال، دراست في فلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، دط، دت.

39. محمود حمدي زقزوق، تمهيد للفلسفة، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1119م.

40. مستشار سعيد العثماوي، تاريخ الوجودية في الفكر البشري، الوطن العربي، بيروت، ط3، 1970م.

41. مصطفى النشار، المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، عبده غريب، ط1، 1997م.

42. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية ، السابقون على السسفطائيين، ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، عبده غريب، دط، 1998.

43. وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1950.

44. يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشرو التوزيع، القاهرة، 1993م.

45. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، د ط، 1936 .

46. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، دت.

المصادر باللغة أجنبية

1. WILLAM HARRIS,HERACLITUS(THE COMPLETE FRAGMENTS),TRANSLATION AND COMMENTARYANDTHE GREEK TEXT

المعاجم والموسوعات:

1. جلال الدين ساعد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، دط.

2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982.

3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982.

4. خليل أحمد خليل، أحمد عويدات، موسوعة لالاند الفلسفية، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 2008، دت.

5. خلف جراد، معجم الفلاسفة المختصرة، مجد المؤسسة الجامعية لدراسات ونشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط1، 2007.

6. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط1، 1984.

7. عبدالرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

8. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر، دط، 2007م.

9. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامةللنشر والتوزيع، أردن-عمان،

ط1، 2012.

10. المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط 1403هـ-1983م.

البسملة.

شكر وعرفان

إهداء.

مقدمة .....أ

الفصل الأول: جنيالوجيا وكرونولوجيا 5

المبحث الأول:مدخل مفاهيمي.. 5

المبحث الثاني: فلسفة هرقليطس.....12

1-نظرية المعرفة.....13

2-فلسفته الطبيعية 15

المبحث الثالث: المرجعية الفكرية.....17

1-في الحضارات الشرقية.....17

2-في الفلسفة اليونانية 25

الفصل الثاني: اصل العالم ونشأة الكون.....29

المبحث الأول: الكون كصيرورة.....29

المبحث الثاني: النار أصل الأشياء 37

المبحث الثالث: قانون وحدة الأضداد.....44

الفصل الثالث: الأهمية التاريخية لفلسفة هرقليطس.....53

المبحث الأول:مقاربة بين هرقليطس وبرمنيدس 53

1- الثبات أصلا للوجود.....54

2- التغير الهرقليطي 61

المبحث الثاني: تأثير فلسفة هرقليطس على الفلسفات اللاحقة.. 63

1- في الفلسفة اليونانية 63

2 – في الفلسفة الحديثة.....66

المبحث الثالث: اهم الانتقادات 70

خاتمة 75

قائمة المصادر والمراجع..... 78

فهرس الموضوعات.